زيارة الزيدي إلى واشنطن تعيد ملف داعش إلى صدارة الشراكة الأمنية

ص3

نوردو

حكاية «عابر سبيل»

ص8

الأرجنتين وإنجلترا مواجهة تجمع بين الصراع البدني والأفكار التكتيكية

ص11

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الأربعاء 2026/07/15 - 01 صفر1448

السنة 49 العدد 13861

Wednesday 15/07/2026

49th Year, Issue 13861

www.alarab.co.uk

من النووي إلى هرمز... كيف أصبح المضيق جبهة الحرب الأولى؟

الأعمال القتالية لا تزال ضمن حدود مضبوطة لا تعيق العودة إلى الاتفاق

طهران - لم تعد الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران تقاس بالأهداف التي أعلنت عند انطلاقها في أواخر فبراير الماضي، من تدمير البرنامج النووي والصاروخي أو حتى إضعاف النظام الإيراني، بقدر ما أصبحت تدور حول هدف جديد فرضته تطورات الميدان، يتمثل في السيطرة على مضيق هرمز والتحكم بحركة الملاحة والطاقة عبره. فالمضيق الذي ظل لعقود ورقة ردع إستراتيجية في يد طهران تحول اليوم إلى محور الصراع الرئيسي، وباتت السيطرة عليه عنوانا للمواجهة الجديدة بين واشنطن وطهران، فيما تراجعت الملفات الأخرى إلى مرتبة ثانوية.

وتشير التطورات العسكرية المتسارعة إلى أن اتفاق التهدئة المؤقت الذي جرى التوصل إليه الشهر الماضي لم يكن سوى هدنة هشة فرضتها حسابات الطرفين أكثر مما عكست تسوية حقيقية للخلافات. فمع إعلان إيران إغلاق مضيق هرمز، وعودة الولايات المتحدة إلى فرض حصار بحري على الجمهورية الإسلامية، بدا أن الحرب تدخل مرحلة مختلفة تتجاوز الضربات العسكرية التقليدية إلى صراع مباشر على إدارة أهم ممر للطاقة في العالم.

وجاء التصعيد الأخير بعدما أطلقت إيران، الثلاثاء، صواريخ باليستية باتجاه قاعدة جوية أميركية في الأردن، في حين ردت الولايات المتحدة بموجة جديدة من الضربات استمرت نحو خمس ساعات واستهدفت مواقع إيرانية، لتتواصل بذلك المواجهة لليلة الثالثة على التوالي. وأدى هذا التصعيد إلى ارتفاع أسعار النفط إلى أعلى مستوياتها في أربعة أسابيع، في مؤشر على حساسية الأسواق لأي تهديد يطال المضيق الذي يمر عبره جزء كبير من تجارة النفط العالمية.

> واشنطن ترى أن السماح لإيران بفرض قواعدها على الملاحة الدولية سيعني منحها قدرة دائمة على التأثير

ويكشف هذا التحول أن الطرفين انتقلا من معركة تستهدف موازين القوة العسكرية إلى معركة تستهدف موازين النفوذ الاقتصادي. فإيران تسعى إلى تحويل موقعها الجغرافي إلى مصدر نفوذ سياسي ومالي دائم، بينما تعمل الولايات المتحدة على منعها من تحويل المضيق إلى ورقة ابتزاز إستراتيجي تفرض من خلالها قواعد جديدة على حركة التجارة العالمية.

وتعكس تصريحات الرئيس الأميركي دونالد ترامب هذا التحول بوضوح، إذ أعلن إعادة فرض الحصار البحري على إيران، مؤكدا أن مضيق هرمز "سيظل مفتوحا بمشاركة إيران أو بدونها". كما طرح فكرة فرض رسوم بنسبة عشرين في المئة على جميع السفن العابرة للمضيق مقابل توفير الحماية الأمنية، في خطوة غير مسبوقة تعكس رغبة واشنطن في تحويل السيطرة العسكرية إلى نفوذ اقتصادي مباشر.

وفي المقابل، لم تكتف طهران بإعلان إغلاق المضيق، بل بدأت الحديث عن إنشاء نظام خاص بها لتنظيم المرور البحري وتحصيل الرسوم، محذرة السفن من العبور دون الحصول على إذن مسبق. ويعكس هذا التوجه رغبة إيرانية في تكريس واقع جديد تعتبر فيه نفسها السلطة الفعلية المشرفة على المضيق، مستندة إلى موقعها الجغرافي وقدراتها العسكرية المنتشرة على طول الساحل.

كل التركيز على المضيق

وتؤكد القيادة العسكرية الإيرانية أن مستقبل المضيق لا يمكن أن تحدده الولايات المتحدة، فيما شدد وزير الخارجية عباس عراقجي على أن إيران كانت وستبقى "حامية المضيق"، في رسالة تعكس تمسك طهران باعتبار هرمز جزءا من منظومة أمنها القومي وليس مجرد ممر دولي يخضع للتوازنات الدولية.

غير أن هذا السجال يتجاوز البعد القانوني إلى صراع على إعادة رسم خرائط النفوذ في الخليج. فواشنطن ترى أن السماح لإيران بفرض قواعدها على الملاحة الدولية سيعني منحها قدرة دائمة على التأثير في الاقتصاد العالمي، بينما تعتبر طهران أن حرمانها من هذه الورقة يفقدها أحد أهم عناصر الردع بعد سنوات من الضغوط والعقوبات.

ولا يقتصر أثر هذا الصراع على الطرفين وحدهما، إذ ينعكس مباشرة على الاقتصاد العالمي. فقبل اندلاع الحرب كان نحو خمس تجارة النفط والغاز العالمية يمر يوميا عبر مضيق هرمز، بما يزيد على خمسة عشر مليون برميل من النفط ومشتقاته، بقيمة تتجاوز 1.2 مليار دولار يوميا. وأي تغيير في قواعد المرور أو فرض رسوم أو استمرار العمليات العسكرية من شأنه أن ينعكس على أسعار الطاقة وسلاسل الإمداد العالمية ويغذي موجة جديدة من التضخم.

كما أن مقترح فرض رسوم أميركية على السفن العابرة يفتح بدوره بابا جديدا للنزاع القانوني والسياسي، خاصة بعد إعلان المنظمة البحرية الدولية رفضها فرض أي رسوم إلزامية على المضائق المستخدمة في الملاحة الدولية، مؤكدة أن القانون الدولي لا يمنح أي طرف حق فرض مقابل مالي على عبور السفن في الممرات البحرية الدولية.

ويرى مراقبون أن المعركة الحالية لا تزال محكومة بسقف معين يمنع انزلاقها إلى حرب شاملة، إذ يدرك كل من واشنطن وطهران أن التصعيد المفتوح ستكون كلفته مرتفعة على الجميع. فالولايات المتحدة تواجه ضغوطا داخلية مع ارتفاع أسعار الوقود واقتراب انتخابات التجديد النصفي للكونغرس، فيما تعاني إيران أصلا من ضغوط اقتصادية وعقوبات تجعل من الصعب عليها تحمل حرب طويلة تستنزف مواردها.

عُمان تدعو إلى مراجعة جذرية لمنظومة أمن الخليج

مسقط - دعت سلطنة عُمان إلى إجراء مراجعة عميقة وإدخال تغييرات جذرية على البنية الأمنية الخليجية، استلهامًا للدروس القاسية التي أفرزتها الحرب الإيرانية – الأميركية – الإسرائيلية، والتي امتدت تداعياتها إلى بلدان الخليج، وكشفت عن ثغرات في قدرة المنطقة، الأكثر ثراءً واستقرارًا في محيطها، على حماية مجالها الحيوي والنأي به عن توترات الإقليم وصراعاته المتعددة.

وقال وزير الخارجية العُماني بدر بن حمد البوسعيدي إن الحرب على إيران كشفت الحاجة إلى إعادة النظر بصورة شاملة في البنية الأمنية لمنطقة الخليج، والانتقال من سياسة "الاحتواء" التي حكمت الترتيبات الإقليمية طوال العقود الماضية إلى نظام يقوم على إدماج جميع دول المنطقة، ويحمّلها مسؤولية أمنها المشترك.

ونقلت وكالة الأنباء العُمانية، الثلاثاء، عن البوسعيدي قوله، في مقال نشرته صحيفة "لوموند" الفرنسية، إن "شعوب سلطنة عُمان ودول الخليج تعيش تحت وطأة عواقب حرب ما كان ينبغي أن تقع"، معربًا عن أمله في أن تقود التطورات الحالية إلى نهاية فعلية للصراع، لا إلى مجرد توقف مؤقت للعمليات العسكرية قد ينهار في أي وقت.

وأوضح الوزير أن إحدى الأولويات المطروحة حاليًا تتمثل في وضع إطار دائم يضمن حرية الملاحة في مضيق هرمز، مشيرًا إلى "المسؤولية الخاصة التي تتحملها سلطنة عُمان في هذا الملف، باعتبارها، إلى جانب إيران، من الدول التي تطل مياهها الإقليمية على المضيق".

وأكد ضرورة أن تعمل سلطنة عُمان وإيران، بالتعاون مع المجتمع الدولي، على صياغة ترتيبات واقعية ومستدامة ومتوافقة مع القانون الدولي، تضمن حرية العبور وتحمي حركة الملاحة في هذا الممر، الذي يمثل أحد الأعمدة الأساسية للتجارة والاقتصاد العالميين.

وأشاد، في هذا السياق، بالدور البنّاء الذي تقوم به فرنسا في المناقشات المتعلقة بمستقبل الملاحة في مضيق هرمز، لكنه شدد على أن معالجة أوضاع المضيق ينبغي أن تكون جزءًا من رؤية إستراتيجية أوسع تشمل الخليج والممرات البحرية المتصلة به.

ورأى الوزير العُماني أن النظام الأمني الذي تشكّل في الخليج منذ عام 1979 قام على "فرضية أن إيران تمثل تهديدًا وجوديًا للمنطقة وللمصالح الغربية"، وهي فرضية، بحسب رأيه، "كانت خاطئة من أساسها".

وأشار إلى أن "العقود الماضية شهدت إنفاقًا عسكريًا ضخمًا، وتوسيعًا للقواعد الأميركية في المنطقة، وترسيخًا لنظام أمني يعتمد على الحماية الخارجية، من دون أن يؤدي ذلك إلى بناء أمن مستدام أو منع اندلاع الحروب والأزمات".

وقال البوسعيدي إن الحرب الأخيرة كشفت إلى أي مدى كانت سياسة الاحتواء وهمًا، مضيفًا أن "مصادر الخطر الأكبر على أمن الخليج تأتي، في كثير من الأحيان، من قرارات تُتخذ خارج المنطقة، وخصوصًا من تل أبيب".

وطرح تساؤلات حول الكيفية التي يمكن من خلالها إعادة بناء النظام الأمني الخليجي في ضوء هذه التحولات، مؤكدًا أن أي بنية أمنية مستقبلية لا يمكن أن تستبعد أيًا من الدول الثماني المطلة على الخليج، وهي دول مجلس التعاون الخليجي الست، إلى جانب إيران والعراق.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

إلى أين تقود إيران صراع المضائق؟

هناك حروب تبدأ بإطلاق النار، وأخرى تبدأ بإغلاق البحر. ومنذ أن أصبحت التجارة البحرية العمود الفقري للاقتصاد العالمي، لم تعد المضائق مجرد ممرات جغرافية، بل تحولت إلى أدوات نفوذ سياسي وإستراتيجي. ولهذا لم يكن مضيق هرمز يومًا مجرد شريط مائي يفصل إيران عن الضفة العربية للخليج، كما لم يكن باب المندب مجرد معبر بين البحر الأحمر والمحيط الهندي. إنهما شريانان يعبران قلب الاقتصاد العالمي، وأي اضطراب فيهما يتجاوز حدود الإقليم ليصبح أزمة دولية.

في الأشهر الأخيرة عاد هذا الواقع إلى الواجهة مع تصاعد التوتر بين إيران والولايات المتحدة، واستمرار الهجمات التي تستهدف الملاحة في البحر الأحمر. ومع كل أزمة جديدة، يتجدد السؤال نفسه: هل تحاول إيران تحويل الجغرافيا إلى سلاح سياسي؟ وهل تستطيع إستراتيجية تقوم على الضغط عبر المضائق أن تحقق مكاسب دائمة، أم أنها تدفع المنطقة نحو مزيد من العزلة والاضطراب؟

منذ قيام الجمهورية الإسلامية عام 1979، بنت طهران جانبًا مهمًا من عقيدتها الأمنية على ما يعرف بإستراتيجية الردع غير المتماثل. فبدل الدخول في سباق تقليدي مع القوى الكبرى، استثمرت في الصواريخ، والقوات البحرية غير التقليدية، وشبكة من الحلفاء الإقليميين، مستفيدة من موقعها المطل على الخليج العربي. وكانت الرسالة واضحة: إذا تعرضت إيران لضغوط عسكرية أو اقتصادية، فإن خصومها لن يكونوا بمنأى عن الكلفة.

اليوم، يبدو أن هذه العقيدة دخلت مرحلة أكثر تعقيدًا. فلم يعد الضغط مقتصرًا على الرد على العقوبات أو الضربات العسكرية، بل بات يشمل محاولة التأثير في حركة التجارة العالمية نفسها. لقد أصبح البحر امتدادًا للصراع السياسي، وأصبحت الممرات البحرية جزءًا من معادلة الردع.

تكمن أهمية مضيق هرمز في أنه أحد أكثر الممرات حساسية في العالم، إذ تعبره نسبة كبيرة من صادرات النفط والغاز المتجهة إلى الأسواق الآسيوية والعالمية. ولا يحتاج الأمر إلى إغلاق المضيق حتى تتأثر الأسواق؛ فمجرد ارتفاع مستوى المخاطر يرفع تكاليف التأمين والشحن، ويزيد أسعار الطاقة، ويؤثر في سلاسل الإمداد العالمية.

وتدرك إيران جيدًا أن تأثيرها في هذه المعادلة لا ينبع من حجم اقتصادها بقدر ما ينبع من موقعها الجغرافي. ولهذا تحاول توظيف هذا الموقع كورقة تفاوض وضغط في مواجهة خصومها.

لكن المعادلة لم تعد تقتصر على هرمز. فباب المندب أصبح ضلعًا ثانيًا في شبكة أمن الطاقة العالمية، ومع استمرار تهديد الملاحة في البحر الأحمر، باتت طرق التجارة بين آسيا وأوروبا تواجه تحديات غير مسبوقة. وهنا تتشكل صورة إستراتيجية أوسع: الضغط لم يعد محصورًا في الخليج، بل يمتد إلى البحر الأحمر أيضًا، بما يضاعف الضغوط على حركة التجارة ويزيد من تعقيد الحسابات العسكرية والسياسية.

من الناحية العسكرية، تبدو هذه المقاربة مفهومة؛ فهي ترفع كلفة أي مواجهة مباشرة مع إيران، وتجبر القوى الكبرى على التفكير في التداعيات الاقتصادية لأي تصعيد. غير أن السياسة لا تُقاس فقط بقدرة الدولة على رفع الكلفة، بل بقدرتها على تحويل هذه الكلفة إلى مكاسب سياسية قابلة للاستمرار.

ويقدم التاريخ درسًا مهمًا في هذا السياق. ففي ثمانينات القرن الماضي، خلال الحرب العراقية–الإيرانية، شهد الخليج ما عرف بـ"حرب الناقلات". آنذاك، تحولت السفن التجارية إلى أهداف للصراع، لكن النتيجة لم تكن تقليص الحضور الدولي، بل العكس تمامًا. فقد دفعت المخاطر الولايات المتحدة ودولًا أخرى إلى تعزيز وجودها العسكري لحماية الملاحة، ما أدى إلى تدويل الأزمة بدل احتوائها.

> كلما ارتفعت المخاطر ازداد اقتناع القوى الكبرى بأن أمن هذه الممرات جزء من أمن الاقتصاد العالمي

هذه السابقة التاريخية تطرح سؤالًا جوهريًا حول جدوى إستراتيجية الضغط البحري. فكلما ارتفعت المخاطر في هرمز أو باب المندب، ازداد اقتناع القوى الكبرى بأن أمن هذه الممرات جزء من أمن الاقتصاد العالمي، وهو ما يدفعها إلى توسيع حضورها العسكري والبحري، لا إلى الانسحاب منها.

وليس من قبيل المصادفة أن الدول الكبرى أصبحت تنظر إلى أمن المضائق بوصفه قضية اقتصادية بقدر ما هو قضية أمنية. فبعد جائحة كورونا والحرب في أوكرانيا، أدرك العالم مدى هشاشة سلاسل الإمداد الدولية، وأن تعطل ممر بحري واحد قد ينعكس على أسعار الغذاء والطاقة والنقل في قارات بأكملها.

في المقابل، تسعى الدول المستوردة للطاقة إلى تقليل اعتمادها على الممرات الأكثر هشاشة عبر تنويع مصادر الإمداد، وتطوير خطوط الأنابيب، وتعزيز الاحتياطيات الإستراتيجية، والاستثمار في مصادر الطاقة البديلة. وهذه التحولات لا تلغي أهمية هرمز أو باب المندب، لكنها تحد من قدرة أي طرف على استخدامهما ورقة ضغط.

ومن زاوية أوسع، يكشف صراع المضائق عن تحولات عميقة في طبيعة المنافسة الدولية. فالقرن الحادي والعشرون يشهد عودة متزايدة لأهمية الجغرافيا. الصين تعمل على تأمين طرق تجارتها البحرية، والولايات المتحدة تعزز انتشارها البحري، وروسيا توسع حضورها في عدد من الموانئ، بينما تتنافس قوى إقليمية على تطوير مراكز لوجستية وموانئ إستراتيجية. الجميع يدرك أن السيطرة على حركة التجارة تمنح نفوذًا سياسيًا واقتصاديًا، لكن الجميع يدرك أيضًا أن منع هذه الحركة يضر بالجميع.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

ترامب يستبدل «رسوم هرمز» بالاستثمارات الخليجية

الرئيس الأميركي يُبقي على حصار كامل للسفن المتجهة إلى الموانئ الإيرانية

يفتتح التراجع السريع والمفاجئ للرئيس الأميركي دونالد ترامب عن مقترحه بفرض رسوم عبور مرتفعة على البضائع والناقلات المارة عبر مضيق هرمز بابا واسعا أمام القراءات التحليلية التي تبحث في كواليس القرار وصناعة السياسة الاقتصادية والأمنية في واشنطن.

المواقف المتغيرة سمة ثابتة في سياسة ترامب

واشنطن - لم يكد يمضي يوم واحد على تلويحه بفرض رسوم عبور بنسبة 20 في المئة على البضائع والناقلات المارة عبر مضيق هرمز، حتى سارع الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى الإعلان، الثلاثاء، عن استبدال هذا المقترح باتفاقيات تجارية واستثمارية ضخمة مع دول الخليج.

وقال ترامب في منشور على موقع "تروث سوشال" بناء على محادثات مثمرة للغاية مع قيادات الشرق الأوسط، "قررت استبدال رسوم العشرين في المئة التي تفرضها الولايات المتحدة باتفاقيات تجارية واستثمارية مع مختلف دول الخليج".

وأكد الرئيس الأميركي أنه سيُبقي على "حصار كامل" للسفن المتجهة إلى الموانئ الإيرانية أو الآتية منها، لكن حصرا السفن التي تبحر من تلك الموانئ وإليها، أو التي تنقل أي شحنات مرتبطة بإيران.

وكان ترامب أعلن الاثنين أن واشنطن باتت "حارسة مضيق هرمز"، وأنها ستفرض رسوما مرتفعة على حركة الملاحة لتعويض الولايات المتحدة عن تكاليف حماية هذا الممر الرئيسي للنفط والغاز.

في المقابل، شددت القيادة العسكرية الإيرانية على أنها لن تسمح للولايات المتحدة بالتدخل في المضيق، محذرة في الوقت نفسه دول الخليج المجاورة من التعاون مع واشنطن.

ويفسر هذا التحول الخاطف في موقف ترامب، والذي كان منتظرا، بالاصطدام المباشر للواقعية السياسية والاقتصادية بشعارات الضغط القصوى، ويكشف بوضوح عن ضغوط هائلة مارستها كبرى شركات الشحن الدولي والفاعلون الإقليميون الذين رأوا في هذا المقترح تهديدا غير مسبوق للملاحة والاقتصاد العالمي على حد سواء.

وواجهت فكرة الرسوم منذ لحظة إعلانها موجة عاتية من الانتقادات والتحذيرات الصادرة عن كبرى شركات الشحن البحري والاتحادات الملاحية الدولية، التي اعتبرت الإجراء وصفة كارثية لقفزة تضخمية في أسعار السلع ومواد الطاقة.

ورأت دوائر الشحن والخدمات اللوجستية أن فرض ضريبة أو رسوم بهذه النسبة المرتفعة سيتسبب في شلل لخطوط الإمداد الحيوية وتكاليف فلكية قد تصل إلى عشرات الملايين من الدولارات لكل سفينة، ما سيجبر الكثير منها على سلوك طرق بديلة ومكلفة وطويلة، أو تحميل تلك التكاليف مباشرة على المستهلك النهائي في الغرب والشرق.

> فكرة الرسوم واجهت منذ لحظة إعلانها موجة عاتية من الانتقادات والتحذيرات الصادرة عن كبرى شركات الشحن البحري

ويتبدّى الجانب الأكثر خطورة وغرابة في مقترح ترامب الأولي في تراجع الأبعاد الإستراتيجية لحساب النظرة التجارية الضيقة، حيث يمنح هذا الطرح طهران، عن غير قصد، شرعية سياسية للمطالبة بإدارة المضيق لكونه يقع ضمن مجال نفوذها الحيوي ومياهها الإقليمية.

المقترح الأميركي بفرض "رسوم عبور"، لم يفرغ الممر المائي من صفته الدولية فحسب، بل حوّله في العرف الإستراتيجي من شريان عالمي مفتوح ومحمي بموجب القوانين الدولية إلى منطقة جباية مالية خاضعة لمنطق القوة، وهو ما يشرعن بالكامل المبدأ الإيراني القائم على رفض "الحرية المطلقة للملاحة" وتحويل العبور إلى امتياز مدفوع الثمن للطرف الأقوى عسكريا في المنطقة.

ويتجاوز هذا التوجه حدود الشرعنة السياسية ليصل إلى حد "المزايدة" العلنية على الطروحات الإيرانية الأكثر تطرفا، إذ لم تجرؤ طهران نفسها، رغم كل سقف تهديداتها المرتفع، على اقتراح نسبة جباية تصل إلى خُمس قيمة البضائع والنفط المار (20 في المئة).

ويقول مراقبون إن المسؤولين في الإدارة الأميركية أدركوا على ما يبدو جسامة الخطأ وهو ما دفعهم إلى إعادة النظر في القرار، وتتضح الدوافع الأخرى وراء هذا التراجع عند النظر إلى الحسابات البراغماتية التي يفضلها ترامب عندما يتعلق الأمر بالملفات الاقتصادية المعقدة. فبعد محادثات مكثفة ومثمرة وصفها بالناجحة للغاية مع قيادات في منطقة الشرق الأوسط، أيقنت الإدارة الأميركية أن تعميق الشراكة الاستثمارية مع دول الخليج سيوفر فوائد للاقتصاد الأميركي تفوق بكثير ما يمكن تحصيله من هكذا رسوم مثيرة للجدل والنزاعات القانونية.

ويهدف هذا النهج الاستثماري البديل إلى جذب تدفقات هائلة من رؤوس الأموال الخليجية إلى الداخل الأميركي لتمويل البنية التحتية، وإنشاء المصانع، وتوليد ملايين الوظائف ذات الأجور المرتفعة، وهو ما ينسجم تماماً مع عقيدة ترامب الاقتصادية القائمة على جذب الاستثمار الأجنبي المباشر وبناء ميزات تنافسية محلية لبلاده.

وفي المقابل، تحمي هذه التسوية حلفاء واشنطن الخليجيين من تداعيات فرض قيود أحادية على المضيق، وتسهم في الحفاظ على استقرار أسواق الطاقة العالمية في مرحلة دقيقة تتسم بالاضطراب الإقليمي والتوتر مع طهران. وبدلاً من المغامرة بنشوب خلافات قانونية وسياسية حادة مع الشركاء الإقليميين وحلفاء الملاحة الدولية، فضلت الإدارة الأميركية استخدام ورقة "الحماية" كرافعة تفاوضية لتحقيق مكاسب استثمارية ملموسة، تضمن من خلالها تدفق السيولة والرساميل الخليجية إلى الساحة الاقتصادية الأميركية، وتطوي في الوقت نفسه صفحة مقترح الرسوم المثير للجدل قبل أن يتحول إلى أزمة دبلوماسية مفتوحة قد تضرب سلاسل التوريد العالمية في الصميم.

رئيس الوزراء الفرنسي في الرباط لرسم معالم شراكة استثنائية

محمد ماموني العلوي

الرباط - يتوجه رئيس الوزراء الفرنسي سيباستيان لوكورنو، برفقة نحو 12 وزيرًا، بينهم وزير الخارجية جان نويل بارو ووزير الداخلية لوران نونيز، إلى العاصمة المغربية الرباط الأربعاء والخميس، للقاء نظيره المغربي عزيز أخنوش، وترؤس الدورة الخامسة عشرة للجنة العليا الفرنسية – المغربية رفيعة المستوى، في أول زيارة خارجية له منذ توليه منصبه.

وتأتي الزيارة في سياق علاقات دبلوماسية ممتازة بين البلدين، منذ اعتراف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بالسيادة المغربية على الصحراء في صيف عام 2024، وما أعقبه من استئناف واسع للتعاون الأمني بين البلدين. كما تشهد العلاقات الثنائية زخمًا غير مسبوق بعد سنوات من الفتور، بما يعكس الأهمية التي توليها باريس لشراكتها مع الرباط، ويؤكد رغبتها في الارتقاء بالتعاون الثنائي إلى مستوى استراتيجي جديد، وفق مراقبين.

وتمثل الزيارة محطة أساسية للتحضير للاستحقاقات السياسية المقبلة بين الرباط وباريس، وفي مقدمتها الزيارة الرسمية المرتقبة للعاهل المغربي الملك محمد السادس إلى فرنسا. وكان وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة ونظيره الفرنسي جان نويل بارو قد أعلنا، من الرباط في مايو الماضي، أن الملك محمد السادس يعتزم القيام بزيارة دولة إلى باريس، ستتميز بـ"حدث خاص غير مسبوق"، يتمثل في إبرام المعاهدة المغربية – الفرنسية، من دون تحديد موعدها، على أن يسبقها اجتماع للجنة العليا المشتركة.

وقال جان نويل بارو "نحن نستعد أيضًا لاستقبال جلالة الملك في زيارة دولة إلى فرنسا، ستكون علامة فارقة تاريخية في العلاقات الفرنسية – المغربية"، موضحًا أن المعاهدة الثنائية ستكون "الأولى من نوعها لفرنسا مع بلد غير أوروبي"، وأن هدفها هو "وضع إطار للعلاقة الفرنسية – المغربية خلال العقود المقبلة".

وفي برقية تهنئة بعث بها الملك محمد السادس إلى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بمناسبة العيد الوطني الفرنسي، أكد أن "المملكة المغربية وفرنسا دشنتا، بفضل إرادتنا المشتركة، محطة تاريخية في مسار تعزيز علاقاتهما الثنائية المتميزة، تروم الارتقاء بشراكتهما الاستثنائية المعززة إلى مرتبة مثالية، باعتبارها عاملًا أساسيًا للازدهار ورافعة لمستقبل واعد".

وأضاف العاهل المغربي أن "جهود بلدينا المشتركة تتجه نحو إقرار إطار جديد للتعاون، يتسم أكثر فأكثر بروح الإبداع، وببعد استراتيجي وبنيوي، ويشمل مستويات متعددة"، مؤكدا "حرص المملكة على مواصلة العمل مع فرنسا بنفس روح الصداقة والثقة والالتزام، من أجل بلوغ الآفاق الطموحة التي حددها قائدا البلدين".

وسيُعقد اجتماع بين وفدي البلدين في وزارة الخارجية المغربية، يختتم بتوقيع عدد من الاتفاقيات، بحسب وكالة الأنباء الفرنسية. وتهدف الزيارة إلى تعزيز التعاون الثنائي في مختلف المجالات، فيما يُنتظر أن تتركز المباحثات بين رئيس الحكومة المغربي ونظيره الفرنسي على ملفات الاقتصاد والاستثمار والطاقة والدفاع والأمن والهجرة، إلى جانب متابعة مشاريع الشراكة الثنائية والإعداد للمعاهدة الجديدة التي ستؤطر العلاقات بين البلدين بصورة أكثر شمولًا واستدامة.

> المصالح الاقتصادية في صدارة الزيارة، حيث يُنتظر توقيع اتفاقيات، إلى جانب بحث التعاون العسكري والأمن الإقليمي

وفي هذا الإطار، قال رئيس المركز المغاربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية نبيل الأندلوسي إن الزيارة تحمل بعدًا استراتيجيًا يهدف إلى ترسيخ شراكة جديدة بين البلدين تقوم على التوازن والوضوح وتعزيز المصالح المشتركة، بعد مرحلة من التوتر والجمود أثرت في العلاقات الثنائية ذات الامتداد التاريخي. وأضاف أن طبيعة الوفد الفرنسي الرفيع، وما تتضمنه الزيارة من أجندة حافلة واتفاقيات مرتقبة، تؤكد أهميتها السياسية والاقتصادية.

وأوضح الأندلوسي، في تصريح لـ"العرب"، أن المصالح الاقتصادية ستكون في صدارة الزيارة، حيث يُنتظر توقيع عدد من الاتفاقيات الاستثمارية والتجارية، إلى جانب بحث ملفات التعاون العسكري والأمن الإقليمي والهجرة غير الشرعية، مع استحضار الدور الذي يضطلع به المغرب في منطقة الساحل الأفريقي.

وفي السياق ذاته، يبرز قطاع الطاقة ضمن الملفات التي ستحظى باهتمام خاص، في ظل الاهتمام الفرنسي المتزايد بمشاريع الهيدروجين الأخضر والطاقات المتجددة التي يراهن عليها المغرب لتعزيز موقعه مركزًا إقليميًا للطاقة النظيفة. كما يُرتقب أن تشمل المباحثات مشاريع النقل والسكك الحديدية والبنية التحتية الكبرى، في وقت تستعد فيه المملكة لاستضافة كأس العالم 2030.

جوبا تستغل حرب الجار الشمالي لوضع اليد على أبيي

الخرطوم ترفض ضم أبيي إلى انتخابات جنوب السودان

جوبا - تتسارع وتيرة الأحداث في منطقة أبيي المتنازع عليها لتكشف عن فصل جديد من فصول الصراع الجيوسياسي بين الخرطوم وجوبا، حيث تحاول جمهورية جنوب السودان استغلال حالة السيولة الأمنية والانشغال العسكري الناجم عن الحرب الدائرة في الجار الشمالي لفرض واقع جديد على الأرض والسيطرة الكاملة على المنطقة الغنية بالنفط.

أبيي ساحة لصراع هوية

وتتحرك المفوضية القومية للانتخابات في جنوب السودان بخطوات متسارعة لدمج أبيي ضمن الدوائر الانتخابية التابعة لولاية واراب، في محاولة واضحة لشرعنة التبعية الإدارية والسياسية للمنطقة عبر الانتخابات المزمع عقدها في ديسمبر المقبل.

وتستند جوبا في هذا التوقيت الحرج إلى انشغال الجيش السوداني بمعاركه مع قوات الدعم السريع، وهو ما يمنح جنوب السودان فرصة مواتية لتمرير أجندته المؤجلة منذ سنوات دون مواجهة ردود فعل عسكرية أو ضغوط دبلوماسية قوية من الجانب الشمالي.

ويمثل هذا التوجه الأحادي انتهاكا لبروتوكول أبيي الملحق باتفاقية السلام الشامل لعام 2005، ويعيد إلى الواجهة الخلافات التاريخية المعقدة حول هوية المنطقة ومن يحق له التصويت في أي استفتاء لتقرير المصير، لاسيما في ظل الصراع المستمر بين قبيلة الدينكا نقوك المدعومة من جوبا وقبيلة المسيرية العربية المرتبطة بالخرطوم.

وأعلنت الخارجية السودانية في بيان شديد اللهجة أن الإجراءات الأحادية التي اتخذتها جوبا تخالف ليس فقط اتفاقية السلام الشامل، بل تتجاوز أيضا اتفاقية الترتيبات الأمنية والإدارية المؤقتة الموقعة عام 2011، والتي مهدت لصدور قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2046.

وترى الحكومة السودانية الموالية للجيش أن الوضع القانوني لأبيي لا يمكن تعديله أو البت فيه إلا عبر التفاوض المباشر والوسائل السلمية المتفق عليها، وأن استغلال الظروف الاستثنائية التي يمر بها السودان لفرض سياسة الأمر الواقع لن يكسب جوبا أي شرعية دولية أو محلية.

وتطالب الخرطوم المجتمع الدولي، وعلى رأسه الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي والدول الضامنة للاتفاقيات، بالتدخل الفوري لمنع أي تصعيد قد يؤدي إلى تفجير الأوضاع على الحدود المشتركة، مشددة على ضرورة التزام بعثة الأمم المتحدة الأمنية المؤقتة لأبيي (يونيسفا) بمهامها في حفظ الأمن ومنع أي تغيير في الوضع الإداري للمنطقة.

> قرار جوبا يعيد الخلافات التاريخية حول هوية المنطقة ومن يحق له التصويت في أي استفتاء لتقرير المصير

وتتزامن هذه التطورات مع تحذيرات واسعة من أن يؤدي التنافس على أبيي إلى فتح جبهة صراع جديدة تزيد من تعقيد المشهد الإقليمي، خاصة أن المنطقة تحتوي على ثروات نفطية ومساحات رعوية حيوية تهم كلا الطرفين.

وتبدي القوى السياسية والأهلية في السودان مخاوفها من أن يؤدي غياب الاستقرار في المركز إلى قضم الأطراف الحدودية مستقبلاً، ما يدفع حكومة الأمر الواقع إلى التمسك بالمرجعيات القانونية الدولية كحائط صد أساسي في مواجهة الطموحات الجنوبية.

ويسعى السودان، رغم جراحه الغائرة وأزماته الداخلية المتلاحقة، إلى إرسال رسالة واضحة بأن سيادته الوطنية على المناطق الحدودية المتنازع عليها تظل خطاً أحمر لا يمكن تجاوزه تحت أي ظرف من الظروف السياسية أو العسكرية الراهنة.

ويقف البلدان اليوم أمام اختبار حقيقي لمدى التزامهما بعلاقات حسن الجوار والآليات الثنائية المشتركة، مثل الآلية السياسية والأمنية المشتركة، وسط تخوفات من أن تطيح الأطماع السياسية بفرص الحل السلمي الشامل وتهدد الاستقرار الهش على طول الشريط الحدودي بين الدولتين.

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

زيارة الزيدي إلى واشنطن تعيد ملف داعش إلى صدارة الشراكة الأمنية

الخلايا النائمة تراهن على الفراغات الأمنية مع اقتراب نهاية مهمة التحالف الدولي

بينما يقترب التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة من إنهاء مهمته العسكرية في العراق، تعود أسئلة المرحلة التالية لتفرض نفسها على جدول أعمال زيارة رئيس الوزراء العراقي إلى واشنطن. فالتحدي لم يعد يدور حول استعادة المدن من قبضة التنظيم، بل حول منع عودته في بيئة إقليمية مضطربة تتقاطع فيها المواجهة الأميركية - الإيرانية مع هشاشة الحدود العراقية - السورية وتعدد مراكز القوة داخل العراق.

زيارة مفصلية

واشنطن - في الوقت الذي تتجه فيه الأنظار إلى ملفات الطاقة والاستثمارات والعلاقات الاقتصادية، فضلاً عن مستقبل النفوذ الإيراني في العراق، باعتبارها العناوين الأكثر حضوراً في زيارة رئيس الوزراء العراقي علي الزيدي إلى واشنطن، يفرض تنظيم الدولة الإسلامية نفسه مجدداً على جدول أعمال الشراكة العراقية – الأميركية، ليس لأنه استعاد قدرته على السيطرة على الأرض، وإنما لأن المتغيرات الإقليمية المتسارعة تثير مخاوف من أن تمنحه الظروف المناسبة لإعادة بناء شبكاته واستعادة جزء من نشاطه.

ولا يتعلق الأمر بعودة التنظيم إلى نموذج "الخلافة" الذي انهار عام 2017، وإنما بانتقاله إلى نمط أكثر مرونة يعتمد على الخلايا الصغيرة، والضربات الخاطفة، واستغلال الثغرات الأمنية، وهو النموذج الذي أثبت خلال السنوات الماضية أنه أكثر قدرة على البقاء والاستنزاف، خصوصاً في البيئات التي تتراجع فيها الأولويات الأمنية لصالح أزمات سياسية أو إقليمية أكبر.

ويقف العراق اليوم أمام مرحلة انتقالية دقيقة. فمن جهة، يقترب التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة من إنهاء مهمة "العزم الصلب" خلال الأشهر المقبلة، بعد أكثر من عقد من العمليات العسكرية، ومن جهة أخرى تواجه بغداد بيئة إقليمية أكثر تعقيداً بفعل التوترات الأميركية – الإيرانية، وتداعيات الحرب في المنطقة، واستمرار هشاشة الوضع الأمني على الحدود مع سوريا.

وتجعل هذه التطورات ملف مكافحة الإرهاب يتجاوز كونه بنداً أمنياً تقليدياً ليصبح أحد محددات شكل العلاقة المستقبلية بين بغداد وواشنطن.

فالسؤال لم يعد يتعلق ببقاء قوات أميركية أو انسحابها، وإنما بكيفية المحافظة على المكاسب الأمنية التي تحققت منذ هزيمة التنظيم، ومنع أي انتكاسة قد تعيد العراق إلى دوامة عدم الاستقرار.

وتسعى الولايات المتحدة منذ سنوات إلى إعادة صياغة حضورها العسكري في الشرق الأوسط، بالانتقال من نموذج التدخل المباشر إلى نموذج يقوم على تمكين الشركاء المحليين، عبر نقل الخبرات وتعزيز القدرات الاستخباراتية والتكنولوجية وتقديم الدعم اللوجستي، بدلاً من الاعتماد على انتشار قوات قتالية كبيرة. وفي المقابل، تدرك الحكومة العراقية أن قواتها حققت تطوراً كبيراً في القدرات القتالية، لكنها لا تزال بحاجة إلى شراكة متقدمة في مجالات الاستطلاع الجوي، وتحليل المعلومات، وإدارة العمليات المشتركة، واستخدام التقنيات الحديثة في تعقب الخلايا الإرهابية.

> **اقتراب نهاية مهمة التحالف يثير تساؤلات حول مستقبل الدعم الذي اعتمدت عليه بغداد في الاستطلاع الجوي والتخطيط العملياتي**

ولهذا السبب، جاءت العمليات العسكرية التي نفذتها القوات العراقية، بالتنسيق مع التحالف الدولي، عشية زيارة الزيدي إلى واشنطن، لتبعث برسالة مزدوجة؛ الأولى أن تنظيم الدولة لا يزال هدفاً دائماً للجهود الأمنية، والثانية أن طبيعة الحرب تغيرت، فلم تعد معارك لتحرير مدن، بل عمليات استخباراتية دقيقة تستهدف منع التنظيم من إعادة بناء نفسه.

غير أن الخطر الحقيقي لا يكمن في القدرات العسكرية الحالية للتنظيم بقدر ما يرتبط بالبيئة التي قد تساعده على استعادة نشاطه. فالتصعيد بين الولايات المتحدة وإيران، والهجمات التي تنفذها الفصائل المسلحة ضد المصالح الأميركية، يفرضان على المؤسسة الأمنية العراقية توزيع مواردها وجهودها على أكثر من جبهة في وقت واحد، وهو ما قد يخلق فراغات أمنية اعتاد التنظيم استغلالها كلما تراجعت أولوية مكافحته.

كما أن اقتراب نهاية مهمة التحالف الدولي يثير تساؤلات عملية حول مستقبل الدعم الذي اعتمدت عليه بغداد في مجالات الاستطلاع الجوي، والمراقبة الإلكترونية، وتحليل البيانات، والتخطيط العملياتي، وهي مجالات يصعب تعويضها سريعاً بالقدرات المحلية، رغم التطور الذي شهدته المؤسسات الأمنية العراقية خلال السنوات الأخيرة.

ولا تقتصر التحديات على الميدان العسكري، إذ يبرز ملف المعتقلين باعتباره أحد أكثر الملفات حساسية وخطورة. فالعراق يستعد لاستقبال آلاف المعتقلين المرتبطين بتنظيم الدولة من مراكز الاحتجاز في شمال شرق سوريا، في وقت تواجه فيه المؤسسات الإصلاحية تحديات متزايدة تتعلق بالاكتظاظ والإدارة والأمن.

ويستحضر هذا الملف تجربة السنوات التي سبقت صعود التنظيم، عندما نجحت عمليات اقتحام السجون في إعادة ضخ قيادات وعناصر جديدة داخل صفوفه، بما مهد لاحقاً لتوسعه الكبير. ولذلك تنظر بغداد وواشنطن إلى هذا الملف باعتباره جزءاً أساسياً من استراتيجية منع عودة التنظيم، وليس مجرد قضية تتعلق بإدارة السجون.

ويوازي ذلك تحد آخر يتمثل في إعادة دمج العائدين من المخيمات السورية، ولاسيما النساء والأطفال الذين عاشوا سنوات في بيئات تأثرت بأيديولوجيا التنظيم. وتحتاج هذه العملية إلى برامج طويلة الأمد تشمل التأهيل النفسي، والتعليم، والتنمية المحلية، والمصالحة المجتمعية، لأن المعالجة الأمنية وحدها لا تكفي لمنع إعادة إنتاج التطرف.

وتشير التجارب السابقة إلى أن التنظيم استفاد دائماً من هشاشة الدولة، ومن التوترات السياسية والاجتماعية، بقدر استفادته من الفراغات العسكرية. ولذلك باتت مكافحة الإرهاب ترتبط اليوم أيضاً بتحسين الحوكمة، وتعزيز الخدمات، وترسيخ الاستقرار في المناطق التي كانت مسرحاً لنشاط التنظيم، بما يقلل من فرص استقطاب عناصر جديدة.

وتكتسب هذه الرؤية أهمية إضافية في ظل المتغيرات التي تشهدها سوريا، حيث تفرض الحدود الطويلة بين البلدين ضرورة تطوير آليات أكثر فاعلية للتنسيق الأمني. فالتنظيم لا يزال يحتفظ بخلايا متنقلة تستفيد من الطبيعة الصحراوية الوعرة، الأمر الذي يجعل تبادل المعلومات وتنفيذ عمليات متزامنة بين بغداد ودمشق عاملاً أساسياً في منع انتقال العناصر والأسلحة عبر الحدود.

كما أن الانفتاح الأميركي الحذر على السلطات السورية الجديدة يفتح الباب أمام مقاربة إقليمية أكثر شمولاً لمكافحة الإرهاب، تقوم على التعاون الاستخباراتي وتنسيق الجهود بين مختلف الأطراف، بدلاً من الاقتصار على العمليات العسكرية المنفردة.

وفي هذا السياق، تبدو زيارة الزيدي إلى واشنطن فرصة لإعادة تعريف مفهوم الشراكة الأمنية بين البلدين. فالمرحلة المقبلة لا تحتاج إلى تمديد مهمة التحالف الدولي بقدر ما تحتاج إلى بناء إطار تعاون أكثر مرونة واستدامة، يقوم على نقل التكنولوجيا، وتبادل المعلومات، وتطوير القدرات العراقية في مجالات الاستخبارات والمراقبة الجوية والأمن السيبراني، بما يضمن قدرة بغداد على إدارة التهديدات بصورة مستقلة.

وتنسجم هذه المقاربة مع التوجه العراقي الرامي إلى تحقيق توازن دقيق بين ترسيخ السيادة الوطنية والحفاظ على الشراكات الأمنية التي أثبتت فعاليتها في مواجهة الإرهاب، خصوصاً أن إنهاء الوجود القتالي الأميركي لا يعني بالضرورة انتهاء التعاون بين البلدين، بل قد يمثل بداية مرحلة جديدة تتراجع فيها الأبعاد العسكرية المباشرة لصالح التعاون التقني والاستخباراتي.

وفي النهاية، تبدو أهمية ملف تنظيم الدولة في زيارة الزيدي إلى واشنطن أكبر من مجرد كونه بنداً أمنياً، إذ يعكس اختباراً لقدرة بغداد وواشنطن على الانتقال من إدارة حرب مفتوحة ضد التنظيم إلى إدارة مخاطر مرحلة ما بعد هزيمته. فالتنظيم لم يعد يمتلك القدرة على السيطرة على مدن أو إعلان "دولة"، لكنه لا يزال يراهن على الزمن، وعلى استنزاف خصومه، وعلى استغلال أي فراغ أمني أو سياسي لإعادة إنتاج نفسه.

سرت عاصمة جديدة... رهان على الجغرافيا لإنهاء الانقسام الليبي

الموقع الوسطي لسرت يعيد إحياء فكرة العاصمة التوافقية في ليبيا

سرت (ليبيا) - لم يعد الجدل الدائر في ليبيا يقتصر على شكل الحكومة المقبلة أو موعد الانتخابات المؤجلة، بل امتد إلى سؤال أكثر عمقاً يتعلق بمكان الدولة نفسها. فمع استمرار الانقسام بين الشرق والغرب، واحتفاظ كل طرف بمؤسساته ومراكز نفوذه، عادت مدينة سرت لتفرض نفسها بوصفها خياراً محتملاً لإعادة رسم الخريطة السياسية الليبية من خلال تحويلها إلى عاصمة توافقية يمكن أن تشكل نقطة التقاء بين مختلف مكونات البلاد.

ويعكس هذا الطرح إدراكا متزايدا لدى دوائر سياسية ليبية ودولية بأن الأزمة لم تعد مرتبطة فقط بتعدد الحكومات أو تعثر المسار الانتخابي، وإنما أيضا بتمركز السلطة في مدينة ينظر إليها جزء من الليبيين باعتبارها امتدادا لنفوذ طرف دون آخر. ومن هنا برزت فكرة البحث عن مركز إداري وسياسي جديد يخفف من حدة الاستقطاب ويؤسس لمرحلة مختلفة تقوم على توزيع أكثر توازنا للسلطة.

وتأتي عودة مقترح سرت بالتزامن مع تحركات دبلوماسية مكثفة يقودها المبعوث الأميركي مسعد بولس، في إطار جهود تستهدف تقريب وجهات النظر بين المؤسسات المتنافسة ودفع عملية توحيد الدولة. ويبدو أن النقاش حول العاصمة لم يعد مجرد فكرة نظرية، بل أصبح جزءا من مقاربة أوسع تبحث عن حلول غير تقليدية لعقدة الانقسام التي استعصت على التسويات طوال السنوات الماضية.

ويرى مؤيدو هذا التوجه أن سرت تمتلك ميزة جغرافية يصعب توافرها في أي مدينة ليبية أخرى، فهي تقع في منتصف الساحل الليبي تقريبا، وتشكل نقطة وصل بين طرابلس في الغرب وبنغازي في الشرق، كما ترتبط بطرق استراتيجية تؤدي إلى الجنوب عبر سبها، بما يجعلها عقدة مواصلات طبيعية بين الأقاليم التاريخية الثلاثة: طرابلس وبرقة وفزان.

ولا يقتصر الرهان على الموقع الجغرافي فحسب، بل يمتد إلى البعد السياسي الذي يمنح المدينة خصوصية مختلفة. فسرت لا تُعد امتدادا كاملا لأي من مراكز النفوذ التقليدية، الأمر الذي يمنحها، نظريا على الأقل، فرصة لأن تكون أرضا محايدة نسبيا تحتضن المؤسسات السيادية بعيدا عن حساسيات الصراع بين الشرق والغرب.

وظلت العاصمة منذ سنوات إحدى القضايا الضمنية في النزاع الليبي، حتى وإن لم تُطرح دائما بصورة مباشرة. ففي حين تتمسك طرابلس بمكانتها التاريخية باعتبارها العاصمة السياسية والإدارية، تنظر قوى في الشرق إلى استمرار تمركز مؤسسات الدولة فيها بوصفه تكريسا لاختلال ميزان السلطة والثروة، بينما ترى أطراف غربية أن أي نقل للمؤسسات إلى الشرق قد يخل بالتوازنات القائمة ويمنح خصومها أفضلية سياسية.

ومن هذا المنطلق، يعتقد عدد من المراقبين أن إنشاء مركز إداري جديد قد يخفف من حساسية الصراع على العاصمة، عبر نقل المنافسة من معادلة الغلبة إلى معادلة الشراكة، بحيث تصبح مؤسسات الدولة ملكا لجميع الليبيين لا امتيازا جغرافيا لطرف دون آخر.

وتحمل سرت في الوقت ذاته رمزية ثقيلة في الذاكرة الليبية. فقد كانت مسقط رأس العقيد الراحل معمر القذافي، وآخر معاقله قبل مقتله عام 2011، قبل أن تتحول لاحقا إلى أبرز معاقل تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا، الذي أعلنها عاصمة لما سماه "ولاية برقة" قبل أن تستعيدها القوات الليبية بعد معارك عنيفة خلفت دمارا واسعا.

عاصمة توافقية محتملة

غير أن المدينة تحاول خلال السنوات الأخيرة إعادة تشكيل صورتها بعيدا عن إرث الحرب. فقد شهدت برامج لإعادة الإعمار وتأهيل الطرق والمرافق العامة، إلى جانب تطوير مطار خليج سرت الدولي، وتحسين الميناء، وإطلاق مشاريع في قطاعات الصحة والتعليم والإسكان، وهي خطوات يرى داعمو المشروع أنها تهيئ المدينة تدريجيا لاستقبال مؤسسات الدولة إذا ما توفرت الإرادة السياسية.

> **سرت تظهر خيارا ثالثا لا ينتمي إلى أي من معسكري الصراع، وهو ما قد يمنحها قدرة أكبر على احتضان مؤسسات الدولة الموحدة**

كما أن بناء مركز إداري جديد من الصفر قد يمنح ليبيا فرصة لتشييد عاصمة حديثة تتوافق مع متطلبات الدولة المعاصرة، بعيداً عن التكدس العمراني وتعقيدات البنية الإدارية التي تعاني منها المدن الكبرى، وهو نموذج سبق أن لجأت إليه دول عديدة عندما قررت إنشاء عواصم جديدة لتجاوز اختلالات سياسية أو تنموية.

ويحتل البعد الأمني مكانة أساسية في هذا النقاش. فالمؤيدون يرون أن نجاح أي سلطة مركزية يتطلب بيئة أمنية مستقرة لا تخضع لتأثير المجموعات المسلحة المتنافسة، وهو ما يجعل سرت، التي شهدت تراجعاً نسبياً في مستويات التوتر مقارنة بطرابلس خلال فترات عديدة، خياراً يمكن البناء عليه إذا جرى تحصين المدينة بترتيبات أمنية متوافق عليها وطنيا.

لكن هذا التصور لا يخلو من تحديات كبيرة. فتحويل مدينة متوسطة الحجم إلى عاصمة لدولة مترامية الأطراف يحتاج إلى استثمارات ضخمة في البنية التحتية والإدارة والخدمات، فضلاً عن إنشاء مقار للوزارات والبعثات الدبلوماسية والمؤسسات السيادية، وتأمين شبكات النقل والاتصالات والإسكان بما يتناسب مع وظائف العاصمة.

ويضاف إلى ذلك أن العقبة الأساسية ليست هندسية أو مالية، بل سياسية في المقام الأول. فنجاح المشروع يفترض قبولاً من القوى الفاعلة في الشرق والغرب بالتخلي عن جزء من الامتيازات التي يمنحها وجود مؤسسات الدولة داخل مناطق نفوذها، وهو أمر لا يزال يواجه حسابات معقدة ترتبط بتوازنات القوة أكثر مما ترتبط بالجغرافيا.

كما تبدي بعض الأوساط الدولية قدراً من الحذر تجاه هذا الخيار، انطلاقاً من خشيتها من أن يتحول نقل العاصمة إلى مصدر خلاف جديد إذا لم يأت ضمن اتفاق شامل يتناول شكل السلطة التنفيذية، وتوزيع الصلاحيات، وآليات توحيد المؤسسة العسكرية، وإعادة هيكلة الأجهزة الأمنية، وخريطة الطريق المؤدية إلى الانتخابات.

لذلك، فإن سرت لا تمثل في حد ذاتها حلاً للأزمة الليبية، بقدر ما تعبر عن محاولة لإعادة التفكير في أسس بناء الدولة بعد سنوات من الاستقطاب. فبدلاً من استمرار الصراع بين عاصمتين فعليتين، تطرح المدينة إمكانية قيام مركز جديد يرمز إلى الدولة الواحدة ويعكس توازناً بين مختلف الأقاليم.

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

المغرب ونيجيريا على أعتاب تشييد خط الغاز الأطلسي

وثيقة تظهر استكمال الدراسات الفنية والبيئية استعدادا لاتخاذ قرار تنفيذ المشروع قبل حلول 2027

ينتقل مشروع أنبوب الغاز الأفريقي الأطلسي بين المغرب ونيجيريا من مرحلة التخطيط إلى الاستعداد للتنفيذ، بعدما استكمل الدراسات الفنية والهندسية، ودخل مرحلة استيفاء المتطلبات البيئية والتنظيمية تمهيداً لبدء أعمال تشييد أحد أكبر مشاريع الطاقة على مستوى القارة.

الطريق لا يزال طويلا لتحقيق الهدف

لندن - اقترب مشروع الغاز الأطلسي بين المغرب ونيجيريا من الانتقال إلى مرحلة التنفيذ الفعلي، بعد الانتهاء من دراسات الجدوى والتصميمات الهندسية، ودخول مرحلة استكمال دراسات الأثر البيئي والاجتماعي والحصول على التراخيص اللازمة.

وتمهد هذه الخطوة لاتخاذ قرار الاستثمار النهائي قبل حلول عام 2027، للمشروع البالغة كلفته التقديرية حوالي 25 مليار دولار.

ويأتي تقدم المشروع في وقت تتزايد فيه أهمية تنويع مصادر إمدادات الغاز بالنسبة إلى الأسواق الأوروبية، بالتوازي مع سعي دول غرب أفريقيا إلى تطوير احتياطياتها الغازية وتعزيز الربط الإقليمي في قطاع الطاقة.

وهذا يجعل أنبوب الغاز الأفريقي الأطلسي أحد أبرز المشاريع الإستراتيجية التي يُعوَّل عليها لإعادة رسم خارطة تجارة الغاز بين أفريقيا وأوروبا خلال العقد المقبل.

وتكشف وثيقة دراسة الأثر البيئي والاجتماعي الخاصة بالجزء المغربي، التي أوردتها بلومبيرغ الشرق الثلاثاء، تفاصيل تنفيذية جديدة للمشروع.

وتشمل التفاصيل البنية التحتية المخصصة لنقل الغاز، وآليات الربط مع شبكة الغاز المغاربي – الأوروبي، إضافة إلى الجدول الزمني المتوقع للتنفيذ والتشغيل.

أمينة بنخضرة

السعة القصوى للخط تبلغ حوالي 30 مليار متر مكعب

ويُعد المشروع من أكبر مشاريع نقل الغاز في أفريقيا، إذ يمتد لمسافة تقارب 6900 كيلومتر عبر 13 دولة على الساحل الغربي للقارة، وصولاً إلى المغرب، قبل ربطه بالشبكة الأوروبية.

ويمتد الجزء المغربي وحده لمسافة تبلغ 2220 كيلومترا، منها 1830 كيلومترا عبر اليابسة و390 كيلومترا داخل المياه الإقليمية المغربية.

ويستهدف المشروع إنشاء ممر جديد يربط احتياطيات الغاز النيجيرية بدول غرب أفريقيا، مع تمكين هذه الدول من الاستفادة من الغاز الطبيعي في إنتاج الكهرباء والصناعة، إلى جانب توفير منفذ إضافي لتصدير الغاز نحو أوروبا عبر البنية التحتية القائمة في المغرب.

وتوضح الدراسة أن الجزء المغربي سيضم 4 محطات ضغط رئيسية موزعة بالقرب من بوجدور وطانطان وأغادير وآسفي.

> 25 مليار دولار كلفة المشروع الذي يمتد لنحو 6900 كيلومتر عبر 13 دولة على الساحل الغربي للقارة

وتمثل هذه المحطات أحد العناصر الأساسية في خطوط نقل الغاز، إذ تعمل على إعادة رفع ضغط الغاز بعد انخفاضه نتيجة انتقاله لمسافات طويلة، بما يضمن استمرار تدفقه بالكميات المطلوبة حتى وصوله إلى محطات الاستقبال.

وستُقام محطات الضغط على مسافات تتراوح بين 300 و320 كيلومترا، بما يتناسب مع خصائص الأنبوب الذي يبلغ قطره 48 بوصة.

وستشغل كل محطة مساحة تقارب 64 هكتارا، مع اختيار مواقع قريبة من الموانئ وشبكات النقل لتسهيل عمليات توريد المعدات وأعمال الصيانة المستقبلية.

ويعكس اختيار قطر الأنبوب توجها لتوفير طاقة استيعابية تسمح بزيادة كميات الغاز المنقولة مستقبلاً، مع توسع الإنتاج في نيجيريا وارتفاع الطلب داخل الدول التي يعبرها المشروع، بما يمنح الخط مرونة تشغيلية على المدى الطويل.

كما تكشف الوثيقة عن إنشاء محطتي استقبال داخل المغرب، حيث ستستقبل الأولى الغاز القادم من موريتانيا عبر الجزء البحري.

وستكون الثانية المحطة النهائية للجزء البري، لتتولى ربط الأنبوب مباشرة بخط الغاز المغاربي–الأوروبي، ما يتيح نقل الإمدادات نحو الأسواق الأوروبية عبر الشبكة الحالية.

وتشير الدراسة إلى أن المشروع سيُنَفَّذ وفق نظام الحزم المنفصلة للهندسة والتوريد والإنشاء، بحيث تتولى شركات مختلفة تنفيذ المقاطع البرية والبحرية، إضافة إلى محطات الضغط والاستقبال.

ويهدف هذا النموذج إلى تنفيذ الأعمال بالتوازي وتقليص مدة الإنجاز وتوزيع المخاطر الفنية والتنفيذية بين عدة مقاولين متخصصين.

وتتضمن خطة التنفيذ إنشاء 6 معسكرات مؤقتة موزعة على امتداد المسار المغربي، تضم مرافق لإقامة العاملين، ومستودعات لتخزين الأنابيب، وورشا لصيانة المعدات والآليات.

ومن المتوقع أن يغطي كل منها نحو 300 كيلومتر من مسار المشروع، مع تعبئة ما بين ألف و1200 عامل خلال مرحلة البناء، وإعطاء أولوية لتشغيل اليد العاملة المحلية وتوفير برامج تدريب متخصصة.

ويُطوَّر المشروع بشراكة بين المكتب الوطني للهيدروكاربورات والمعادن في المغرب، والشركة الوطنية النيجيرية للبترول، بالتعاون مع الدول التي يعبرها الأنبوب، في إطار مشروع إقليمي يستهدف تعزيز أمن الطاقة وتحفيز التنمية الاقتصادية في غرب أفريقيا.

وسبق أن صرحت أمينة بنخضرة رئيسة المكتب في إفادة لوكالة رويترز بأن السعة القصوى للخط تبلغ 30 مليار متر مكعب، منها 15 مليار متر مكعب لتزويد المغرب ودعم الصادرات إلى أوروبا.

أما الجزء البحري داخل المياه المغربية فسيمتد لمسافة تقارب 390 كيلومترا بين الحدود البحرية مع موريتانيا ومنطقة الداخلة، وعلى أعماق تتراوح بين 15 و100 متر.

وتوضح الدراسة أن الأنبوب سيُدفن تدريجيا عند اقترابه من الساحل لمسافة تقارب 8 كيلومترات، مع استخدام طبقة خرسانية وطلاء مقاوم للتآكل ونظام حماية كاثودية، بما يضمن استقرار الخط وسلامته التشغيلية طوال عمره الافتراضي الذي يقدَّر بنحو 40 عاما.

ويُصنف الجزء المغربي ضمن المرحلة الأولى من المشروع، والتي تمتد من منطقة الربط مع خط الغاز المغاربي–الأوروبي داخل المغرب.

> الجزء المغربي سيضم 4 محطات ضغط رئيسية موزعة بالقرب من بوجدور وطانطان وأغادير وآسفي، وفق الدراسة

ووفق الجدول الزمني الوارد في الدراسة، يُنتظر اتخاذ قرار الاستثمار النهائي خلال الربع الأخير من 2026، وهو القرار الذي سيفتح الباب أمام الانتقال من مرحلة الدراسات إلى التنفيذ الميداني.

ومن المتوقع أن تبدأ أعمال البناء عقب صدور القرار مباشرة، على أن يدخل المشروع مرحلة التشغيل التجاري خلال الربع الثاني من عام 2031.

وتكشف الدراسة كذلك أن الجهات المشرفة على المشروع درست في البداية خيار إنشاء خط بحري كامل بمحاذاة الساحل الأطلسي، إلا أنها استبعدته بسبب ارتفاع تكاليف الإنشاء والصيانة، وتعقيداته الفنية، فضلاً عن آثاره المحتملة على النظم البيئية البحرية.

وبدلاً من ذلك وقع الاختيار على مسار يجمع بين المقاطع البرية والبحرية، لما يوفره من مزايا اقتصادية وتشغيلية، إضافة إلى إتاحة تزويد المدن والمناطق الصناعية الواقعة على امتداد الخط بالغاز، ما يعزز فرص التنمية الصناعية وتوسيع استخدام هذا المورد داخل الدول المشاركة.

كما جرى تعديل مسار الأنبوب داخل المغرب لتجنب المناطق السكنية والمحميات الطبيعية، مع الحفاظ على مسافة لا تقل عن كيلومتر واحد من الموائل البيئية الحساسة، في إطار الالتزام بالمعايير البيئية وتقليل الآثار المحتملة للمشروع.

ازدهار الذكاء الاصطناعي يغذي نمو الصادرات الصينية

بكين - تسارع نمو الصادرات الصينية خلال شهر يونيو، مسجلة قفزة غير مسبوقة، بحسب ما أعلنته الهيئة العامة للجمارك الصينية الثلاثاء، مدفوعة بقوة الطلب الناتجة عن الطفرة في مجال الذكاء الاصطناعي، فضلاً عن السيارات.

وزاد هذا الاتجاه من اعتماد المنتجين على المشترين الأجانب، في حين يواصل صناع السياسات في ثاني أكبر اقتصاد في العالم البحث عن سبل لتعزيز الطلب المحلي.

ويُبقي الأداء التجاري القوي، الذي فاق التوقعات، الصين على المسار الصحيح لتحقيق فائض يتجاوز تريليون دولار للعام الثاني على التوالي، حيث تحافظ المصانع على مبيعاتها رغم تباطؤ النمو في الاقتصادات الكبرى والتوترات التجارية مع واشنطن.

وأظهرت بيانات الجمارك الصادرة الثلاثاء ارتفاع الصادرات بنسبة 27 في المئة مقارنة بالعام الماضي من حيث القيمة بالدولار الأميركي، وهو أفضل أداء لها في أربعة أشهر.

وبهذا الأداء تتجاوز نسبة 19.4 في المئة المسجلة في مايو الماضي، والزيادة المتوقعة من قبل الاقتصاديين والبالغة 18.2 في المئة.

وقفزت الواردات بنسبة 36 في المئة، مقارنة بنسبة 27.4 في المئة المسجلة في الشهر السابق، وهو أعلى مستوى لها في خمس سنوات. وكان الاقتصاديون قد توقعوا نموًا بنسبة 24 في المئة لشهر يونيو.

وقال شو تيانتشن، كبير الاقتصاديين في وحدة الاستخبارات الاقتصادية ببكين، لرويترز "يشير استمرار قوة الصادرات، مدفوعةً بشكل رئيسي بالذكاء الاصطناعي، إلى تحسن أداء النصف الثاني من العام".

شو تيانتشن

مزيج من العوامل ساعد الصين على تحقيق هذا الأداء

وأشار تيانتشن في حديثه إلى مزيج السياسات التوسعية، وتسريع الإنفاق الحكومي، وتيسير نقدي معتدل، فضلاً عن تهدئة الأوضاع في الشرق الأوسط، وهو ما سيعود بالنفع على الصين من خلال انخفاض أسعار النفط.

وأضاف "لكن الطلب المحلي لا يزال يمثل عائقاً. فمبيعات التجزئة لا تزال مستقرة إلى حد كبير، وكان الاستثمار في الأصول الثابتة سلبياً الشهر الماضي".

وأظهرت البيانات أن صادرات الصين الشهرية من السيارات تجاوزت مليون سيارة لأول مرة في يونيو، مما ينذر بتصعيد التوترات مع شركاء مثل الاتحاد الأوروبي. وفي الوقت نفسه، باعت الصين للعالم 32 مليار دائرة متكاملة.

وبلغ فائض الميزان التجاري الصيني 125.6 مليار دولار في يونيو، مرتفعاً من 105.4 مليار دولار في الشهر السابق.

في الأفق هيمنة على التجارة العالمية

عودة التوتر ترفع أسعار الشحنات الفورية من نفط الشرق الأوسط

سنغافورة - أكدت مصادر في قطاع النفط الثلاثاء أن أسعار شحنات الخام الفورية في الشرق الأوسط انتعشت لتسجل مستويات أعلى من العقود الآجلة للأشهر المقبلة.

وأثار تصاعد الهجمات بين الولايات المتحدة وإيران مخاوف بشأن تأثر صادرات النفط والشحن عبر مضيق هرمز، مما دفع مشترين آسيويين إلى البحث عن مصادر إمداد بديلة.

وبدأت أحدث موجة من الهجمات في الحرب المستمرة منذ خمسة أشهر بضربة أميركية على إيران عقب هجوم على سفينة الأسبوع الماضي.

وفي الأيام القليلة الماضية، شنت الولايات المتحدة هجمات جديدة، في حين هاجمت طهران دولا بالخليج وسفنا في مضيق هرمز بالقرب من سلطنة عمان.

وهاجمت إيران ناقلتي نفط إماراتيتين ضمن أسطول شركة بترول أبوظبي الوطنية (أدنوك) الذي ينقل النفط الخام إلى خارج الخليج لتحميله على سفن أخرى قبالة سواحل الإمارات وعمان لتوريده إلى المشترين.

وأطلقت جماعة الحوثي اليمنية صواريخ على السعودية الاثنين منهية هدنة استمرت أربع سنوات في الصراع بين البلد الخليجي والجماعة المتحالفة مع إيران.

وقالت جون جوه، كبيرة محللي النفط لدى سبارتا كوموديتيز، "لقد تبدد الآن الفائض النفطي الصغير، مع تركيز جديد على احتمال حدوث تعطل للتدفقات من مضيق باب المندب إذا انضم الحوثيون إلى الهجمات".

وصعد خام برنت إلى ما فوق 86 دولارا للبرميل في أحدث التعاملات الثلاثاء، مدفوعا بمخاوف تعطل حركة الشحن أو فرض قيود على الإمدادات الخليجية.

وانعكس هذا التصعيد على السوق الفورية لخامات الشرق الأوسط عبر ارتفاع العلاوات السعرية التي يطلبها البائعون مقابل الشحنات المتاحة، إذ أصبحت شركات التكرير الآسيوية أكثر حرصاً على تأمين الإمدادات، في وقت ارتفعت فيه المخاطر المتعلقة بتكاليف النقل والتأمين.

جون جوه

تبدد الفائض القليل، وقد تتعطل التدفقات من باب المندب

كما أن أي تهديد لحركة الملاحة في مضيق هرمز ينعكس مباشرة على خامات مثل دبي وعُمان ومربان باعتبارها من أبرز المراجع لتسعير شحنات الشرق الأوسط المتجهة إلى آسيا.

وتتداول أسعار الشحنات الفورية لخامات نفط الشرق الأوسط عند مستويات تتراوح تقريبا بين 70 و75 دولارا للبرميل، حيث يدور خاما دبي وعُمان، وهما من أبرز المؤشرات المرجعية للنفط المتجه إلى الأسواق الآسيوية، قرب هذا النطاق.

في المقابل يتحرك خام مربان الإماراتي وخامات الخليج الأخرى وفق ظروف العرض والطلب والعلاوات السعرية المرتبطة بجودة الخام وتكاليف الشحن.

وتبقى التطورات الجيوسياسية، خصوصا المتعلقة بأمن الإمدادات وحركة الناقلات في منطقة الخليج، من العوامل الرئيسية التي تؤثر في علاوات الأسعار الفورية وتكاليف الشحن.

ورجحت مصادر في قطاعي التجارة والشحن، أن يثني أحدث هجوم على الناقلتين شركات الشحن عن دخول الخليج لتحميل النفط، إذ تراقب الشركات التي استأجرت سفنا بالفعل الوضع عن كثب.

وقالت المصادر، التي رفضت ذكرها بالاسم لأنها غير مخولة بالتحدث إلى وسائل الإعلام، لوكالة رويترز إن "هذا التطور أثار مخاوف بين شركات التكرير بشأن ما إذا كانت شحناتها ستسلم في الأسابيع المقبلة".

وأفاد متعاملون بأن فروق الأسعار الشهرية للشحنات الفورية من خام دبي القياسي في الشرق الأوسط تحولت إلى حالة التراجع السعري الآجل، إذ أصبحت الأسعار الفورية أعلى بما يقارب دولارا للبرميل اليوم عن أسعار العقود الآجلة للتسليم في الأشهر اللاحقة.

وجاء ذلك بعد أن ظلت ثلاثة أسابيع في حالة الارتفاع السعري الآجل، التي تعني زيادة أسعار العقود الآجلة عن أسعار الشحنات الفورية.

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

الحكومة المغربية تدفع نحو الاندماج لبناء صناعة إعلامية قوية

أزمة إعلانية تعصف بالإعلام المغربي تهدد أسس المشهد الإعلامي الوطني

إعلام قوي يواجه التحديات

الإصلاحات يجب أن تحافظ على التوازن الدقيق: بناء صناعة إعلامية قوية، تنافسية، وذات جدوى اقتصادية، دون التضحية بالتعددية، الاستقلالية التحريرية، والحقوق الاجتماعية للصحفيين.

الرباط - تدفع الحكومة المغربية نحو إعادة هيكلة جذرية للقطاع الإعلامي، داعية مقاولات الصحافة الصغرى إلى الاندماج لتوليد مجموعات إعلامية كبرى قادرة على الصمود في العصر الرقمي.

وفي كلمة له أمام لجنة التعليم والثقافة والاتصال بمجلس النواب، كشف وزير الشباب والثقافة والتواصل محمد المهدي بنسعيد أن قطاع الإعلام في المغرب تكبد خسارة صافية بلغت 250 مليون درهم (نحو 25 مليون دولار) من عائداته الإشهارية، وهي صدمة مالية كبرى ضربت بقوة وسائل الإعلام التقليدية، مثل القناة الثانية (2M) والصحافة الورقية، على حد سواء مع المواقع الرقمية.

وبالنسبة للحكومة، فإن النموذج الاقتصادي الحالي القائم على تفتت السوق قد ولى زمنه، مؤكدة أن المغرب بات في حاجة إلى مؤسسات إعلامية كبرى تشغل المئات من المهنيين ليكون لها وزن على الساحة الإقليمية وتدافع بفعالية عن القضايا الوطنية.

وأوضح الوزير أن دعم المقاولة الصحفية "لا نقاش حوله"، لكنه أكد أن الاستثناء لا ينبغي أن يتحول إلى قاعدة دائمة. وذكر أن الدولة تدخلت بقوة خلال جائحة كوفيد – 19 لمنع إفلاس جماعي، لكن هذا الدعم يجب أن يكون مؤقتاً.

ووفقاً للمعايير الدولية، لا يمثل الدعم الحكومي سوى 20 إلى 30 في المئة من موارد مقاولات الصحافة، بينما يجب أن يتكفل سوق الإشهار والاشتراكات بالباقي. بناءً على ذلك، تُطرح عمليات الاندماج والاستحواذ كطوق نجاة وحيد لتحديث القطاع ومواكبة التحولات الرقمية.

وأضاف بنسعيد أن الحكومة أعدت مرسوماً جديداً يحدد طرق الدعم العمومي، لكن إخراجه يتوقف على مشاورات مع المجلس الوطني للصحافة، الذي أحيلت إليه معظم الصلاحيات التنظيمية والرقابية. وأكد أن "الإعلام قطاع وطني لا يخضع لمنطق الأغلبية أو المعارضة"، داعياً القطاع الخاص إلى تطوير نموذجه الإشهاري واستعادة الموارد المفقودة.

ولفهم استعجالية هذه الإصلاحات، تجب العودة إلى أزمة كوفيد – 19، التي ألقت بظلالها الثقيلة على القطاع. وتدخلت الدولة بشكل مكثف لمنع إفلاس جماعي لغرف التحرير، مما حقق استقراراً مؤقتاً. لكن الجائحة سلطت الضوء على هشاشة النموذج الاقتصادي القائم على الإعلانات التقليدية، مع تفاقم المنافسة من المنصات الرقمية العملاقة مثل فيسبوك وغوغل التي تستحوذ على حصة كبيرة من الإعلانات دون توزيع عادل.

يأتي ذلك في سياق تحولات أعمق، منها خاصة انخفاض مبيعات الصحف الورقية، صعوبة تحقيق الاشتراكات الرقمية، وانتشار المحتوى غير المهني.

وسبق أن رفعت هذه الإشكاليات خلال المناظرة الوطنية للإعلام، التي أوصت بإطار قانوني ينظم توزيع الإشهار العمومي والخاص.

وأكد الوزير بنسعيد خلال المناظرة أنها تمثل خطوة أساسية نحو بناء منظومة إشهارية وطنية حديثة ومسؤولة، قادرة على مواكبة التحولات الرقمية. وكشفت المناظرة عن غياب قواعد واضحة سابقة في توزيع الميزانيات الإعلانية، وهو ما ساهم في تفاقم الأزمة.

وشددت رئيسة الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري لطيفة أخرباش على أن الإشهار ليس مجرد أرقام وحصص سوقية، بل خطاب موجه للمواطن يساهم في تشكيل المعايير الاجتماعية، مؤكدة على ضرورة احترام الفصل بين المضمون الإشهاري والتحريري وصون نزاهة الإعلام.

وحذرت أخرباش من أن غياب العدالة في توزيع الموارد الإشهارية بين مختلف وسائل الإعلام يهدد التعددية الإعلامية ويفتح الباب أمام الابتزاز السياسي أو التجاري. كما شددت على ضرورة فرض آليات شفافة وواضحة تضمن وصولاً منصفاً للموارد الإشهارية، مع الأخذ بعين الاعتبار التنوع الجغرافي، واللغوي، والقطاعي للمؤسسات الإعلامية.

يرى العديد من الخبراء أن المناظرة كانت خطوة إيجابية ولكنها تحتاج إلى تنزيل عملي سريع. ويؤكد بعض المتخصصين في اقتصاد الإعلام أن التفتت الحالي (مئات المقاولات الصغيرة) يجعل القطاع عرضة للانهيار أمام اللاعبين الدوليين الكبار، وأن الاندماج ضروري لخلق "كيانات قوية" قادرة على الاستثمار في المحتوى الرقمي الجيد والتكنولوجيا.

من جهة أخرى، يحذر خبراء ونقابيون من مخاطر الاندماج إذا لم يُرافق بحماية التعددية. ويقول بعضهم إن "الاندماج يجب ألا يؤدي إلى احتكار أو توحيد الخط التحريري"، مطالبين بضمانات قانونية صارمة تحافظ على استقلالية الصحافة وتنوع الأصوات.

يُشار إلى أن المجلس الوطني للصحافة، كهيئة تنظيم ذاتي، يلعب دوراً محورياً، لكنه يواجه تحديات في تنفيذ صلاحياته الكاملة.

مع مواصلة مشروع القانون مساره التشريعي، يبدو أن الوصول إلى تسوية سيكون أمراً دقيقاً. ويرى بنسعيد أن المغرب في أفق 2030 يحتاج إلى إعلام قوي يواكب التحديات الاستراتيجية الوطنية. أما النواب والنقابات فيشددون على ضرورة حوار موسع يشمل كل الفاعلين لضمان أن تكون الإصلاحات شاملة وعادلة.

محمد المهدي بنسعيد

قطاع الإعلام تكبد خسارة بلغت 25 مليون دولار من عائداته الإشهارية

كيف تحولت السردية الإخبارية إلى أداة لتثبيت الجبهة الداخلية في الخليج

الرياض - تتجسد مقولة "من يملك الرواية يملك المعركة" بشكل صارخ في المشهد الإعلامي الخليجي الراهن، حيث تحول الفضاء الرقمي وشاشات التلفزة إلى ساحات حرب موازية لا تقل ضراوة عن التصعيد العسكري في مضيق هرمز. ويخوض صناع القرار الإعلامي في كل دولة خليجية سباقاً محموماً لصياغة "السردية الوطنية" القادرة على توجيه الرأي العام المحلي وإقناعه بأن القيادة السياسية والعسكرية لبلدهم تمسك بزمام المبادرة وتخرج منتصرة من هذه الأزمة الجيوسياسية المعقدة.

وأعادت شبكات مثل الجزيرة، العربية، والشرق للأخبار تموضع مراسليها وألغت برامجها الروتينية لتواكب أي تطور ميداني قد يؤثر على الملاحة الدولية وأسعار الطاقة العالمية.

وشمل الاستنفار الإعلامي عدة خطوات عملية. وسحبت الشبكات مراسليها من المناطق الآمنة ونشرتهم على طول الممرات المائية الحيوية.

كما ألغت معظم الشبكات برامجها الترفيهية والاعتيادية، واعتمدت على تغطيات حية مفتوحة. ويتيح هذا النمط متابعة فورية لأي حادث بحري أو جوي، كما حدث مع التقارير المتكررة عن استهداف سفن أو إغلاق محتمل للمضيق.

وتكثف الاعتماد على الصور الفضائية والأقمار الاصطناعية لتعقب حركة القطع البحرية والناقلات، خاصة مع التشويش والتعتيم الذي تفرضه الأطراف المتنازعة. هذا النهج ساعد في كشف بعض الحركات العسكرية رغم الضباب الإعلامي.

ويواجه صناع القرار الإعلامي معضلة مزدوجة: التنافس على "السبق الصحفي" مقابل الالتزام بالخطوط التحريرية السياسية. يظهر الاستقطاب الحاد بوضوح في التوصيفات، فما تصفه وسيلة "دفاعاً عن السيادة"، تراه أخرى "تهديداً للملاحة الدولية".

يعكس الاستنفار الإعلامي الحالي في غرف الأخبار العربية الكبرى وخاصة الخليجية مقولة "من يملك الرواية يملك المعركة". فلم تعد التلفزيونات ناقلة أحداث فحسب، بل أصبحت فاعلاً مؤثراً في صياغة الرأي العام، وتوجيه التأثيرات الاقتصادية المرتبطة بأسعار النفط.

في هذا السياق، تركز الآلة الإعلامية لكل بلد على صياغة محتوى إخباري وتحليلي موجه بدقة لبناء هذه السردية؛ فبينما تسعى وسائل الإعلام في بعض العواصم الخليجية إلى إظهار بلدها في ثوب "الحامي الإقليمي"، تختار منصات إعلامية في دول خليجية أخرى تبني سردية "الدبلوماسية الذكية والوساطة الحاسمة"، مظهرةً بلادها كقوة عاقلة لا غنى عنها في تفكيك الأزمات وتجنيب المنطقة حرباً شاملة، وهو ما تصوره لجمهورها المحلي على أنه أسمى درجات النصر والتمكين السياسي.

ويمتد هذا التسابق على السردية الإقناعية إلى توظيف شبكات واسعة من المحللين الإستراتيجيين، والحسابات الإخبارية الموثقة على منصات التواصل الاجتماعي، والتي تعمل على مدار الساعة على تفكيك روايات الأطراف المنافسة والتقليل من شأن تحركاتها الميدانية. هذا الاستقطاب الحاد يجعل من السردية الإخبارية أداة لتثبيت الجبهة الداخلية لكل بلد، حيث تُعاد صياغة أي تطور في المضيق سواء كان مناورة عسكرية أو تحركاً دبلوماسياً ليصب حتماً في خانة "الانتصار الإستراتيجي" الذي يؤكد صواب الرؤية السياسية للدولة ويعزز شعور الأمان والفخر لدى مواطنيها.

الجبهة الداخلية الأهم

ترامب يُفجّر مواجهة دستورية غير مسبوقة باستدعاء صحفيي «نيويورك تايمز»

واشنطن - شهدت العاصمة الأميركية تصعيداً دراماتيكياً وضع حرية الصحافة في مواجهة مباشرة مع السلطة التنفيذية، عقب إقدام وزارة العدل، بتوجيه من إدارة الرئيس دونالد ترامب، على خطوة غير مسبوقة تمثلت في إرسال عملاء فيدراليين لتسليم مذكرات استدعاء رسمية إلى منازل أربعة من كبار صحفيي الأمن القومي في صحيفة "نيويورك تايمز" للمثول أمام هيئة محلفين فيدرالية في مانهاتن.

هذا التحرك الفوري أثار موجة غضب عارمة واعتبرته الأوساط الحقوقية والإعلامية إعلاناً صريحاً للحرب على الصحافة الاستقصائية ومحاولة ترهيبية لتجفيف منابع التسريبات داخل الإدارة الأميركية.

وانطلقت شرارة الأزمة عقب نشر الصحفيين الأربعة جوليان إي بارنز وإريك ليبتون وتايلر بيجر وإريك شميت تقريراً استقصائياً كشف عن كواليس أمنية محرجة لترامب أثناء مشاركته في قمة الناتو الأخيرة.

ووفقاً للتقرير المسرب، فإن "جهاز الخدمة السرية" قدّم توصية عاجلة وملزمة للرئيس بضرورة عدم استخدام طائرته الرئاسية الجديدة (Air Force One) في رحلة العودة والاعتماد بدلاً من ذلك على الطائرة التقليدية القديمة.

والطائرة الجديدة هي نفاثة فاخرة من طراز بوينغ (747 – 8)، قدمتها الحكومة القطرية العام الماضي "كهدية غير مشروطة" للولايات المتحدة بلغت قيمتها حوالي 400 مليون دولار.

وكشفت التسريبات أن هذه الطائرة تفتقر إلى بعض الأنظمة الدفاعية العسكرية والاتصالات المتقدمة المتوفرة في الطائرة القديمة، مما جعلها هدفاً غير آمن وسط تصاعد حدة الصراع العسكري والدبلوماسي المباشر بين واشنطن وطهران في الممرات المائية.

وأفادت مصادر مقربة من الإدارة بأن ترامب استشاط غضباً من خروج هذه الكواليس التي اعتبرها "إحراجاً سياسياً" يمس هيبة الرئاسة، مما دفعه إلى إعطاء أوامر صارمة لوزارة العدل والمدعي العام الفيدرالي لجنوب نيويورك جاي كلايتون بشن حملة ملاحقة عاجلة لقطع رؤوس التسريبات.

وأعلن المستشار القانوني العام للصحيفة ديفيد ماكرو رفض الإجراء جملة وتفصيلاً، مؤكداً أن ظهور العملاء على عتبات منازل الصحفيين هو "اعتداء سافر على التعديل الأول للدستور". وشددت الصحيفة على أن الكشف عن عيوب طائرة مخصصة لنقل قادة الدولة يصب في عمق المصلحة العامة والأمن القومي.

وأدانت المنظمة الدولية الخطوة واصفة إياها بالسابقة الخطيرة التي تهدف إلى خلق "تأثير ترهيبي" يدفع المصادر الحكومية إلى الخوف من التحدث إلى الصحافة في المستقبل.

واستغل الحزب الديمقراطي الأزمة لشن هجوم لاذع على البيت الأبيض، حيث وصف زعيم الديمقراطيين في مجلس الشيوخ تشاك شومر الخطوة بأنها "تجاوز فاضح وإساءة استخدام مقيتة لأجهزة إنفاذ القانون لتصفية حسابات شخصية رئاسية".

> **المعركة تتجاوز حدود التلاسن الإعلامي المعتاد لترامب، لتكشف عن تحول بنيوي في استراتيجية إدارته**

وتتجاوز هذه المعركة حدود التلاسن الإعلامي المعتاد لترامب ضد ما يسميه "الأخبار الزائفة"، لتكشف عن تحول بنيوي في استراتيجية الإدارة. وبدلاً من الاكتفاء بالتحقيقات الداخلية، اختارت الإدارة تفعيل أداة "هيئة المحلفين الفيدرالية" لإجبار الصحفيين تحت طاولة القانون على كشف مصادرهم السرية، وهو ما يهدد الحصانة التقليدية للعمل الصحفي في الولايات المتحدة.

ويتزامن هذا الترهيب القضائي مع قرار ترامب الحاسم والمنشور أيضاً في "نيويورك تايمز" بإعلان الانهيار الكامل لقرارات وقف إطلاق النار واستئناف العمليات العسكرية والحصار البحري الشامل ضد إيران.

ويرى مراقبون أن الإدارة ترغب في فرض تعتيم كامل وصرامة مطلقة على غرف الأخبار لمنع تسريب خطط الانتشار العسكري المقبلة.

وتضع هذه الأزمة القضاء الأميركي أمام اختبار دستوري وتاريخي فاصل؛ فإما أن ينتصر لحرية التعبير وحماية المصادر الصحفية باعتبارها ركيزة الديمقراطية، أو يمنح الإدارة الحالية الضوء الأخضر لتحويل وزارة العدل إلى عصا غليظة لتأديب وسائل الإعلام وتكميم أفواه الصحافة الاستقصائية.

هجوم الفجر القضائي

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

التصعيد الحوثي ضد السعودية يعيد ترتيب أولويات الخليج

أمن اليمن لم يعد شأنا يمنيا خالصا

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لم يكن استهداف الحوثيين لمطار أبها الدولي بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة، بالتوازي مع تهديد شركات الطيران المدني بالعبور في الأجواء السعودية، مجرد تصعيد جديد في حرب يمنية دخلت عامها الثاني عشر، بل بدا وكأنه إعلان عن مرحلة مختلفة في طبيعة الصراع نفسه.

الرسالة هذه المرة لم تكن موجهة إلى الرياض وحدها، وإنما إلى دول الخليج مجتمعة، ومفادها أن اليمن لم يعد مجرد ساحة نزاع داخلية أو إقليمية، بل تحول إلى منصة إستراتيجية يمكن من خلالها تهديد أمن الخليج والطاقة العالمية والملاحة الدولية في آن واحد.

ويفرض هذا التصعيد سؤالا يتجاوز الحسابات العسكرية المباشرة: هل يدفع اتساع الخطر الحوثي – الإيراني العواصم الخليجية إلى إعادة بناء مقاربة موحدة للملف اليمني، بعد سنوات من تباين الأولويات واختلاف الرؤى حول إدارة الأزمة؟

يشار إلى أن التمكين للحوثيين لم يكن يستهدف السعودية وحدها، وإنما كان جزءا من مشروع أشمل لتطويق الخليج من الجنوب. فسيطرة الجماعة على أجزاء واسعة من الساحل اليمني المطل على البحر الأحمر وباب المندب منحت إيران لأول مرة قدرة عملية على الجمع بين ورقتين إستراتيجيتين في معادلة الطاقة العالمية؛ التهديد بإغلاق مضيق هرمز من جهة، والقدرة على تعطيل الملاحة في باب المندب من جهة أخرى.

لم يعد أمن الخليج مرتبطا فقط بحماية حدوده البرية أو منشآته النفطية، بل أيضا بمنع قيام كيان مسلح مرتبط بطهران على واحد من أهم الممرات البحرية في العالم

وبذلك لم يعد أمن الخليج مرتبطا فقط بحماية حدوده البرية أو منشآته النفطية، بل أيضا بمنع قيام كيان مسلح مرتبط بطهران على واحد من أهم الممرات البحرية في العالم.

وقد أثبت الحوثيون خلال الأشهر الماضية أنهم يمتلكون بالفعل هذه القدرة. فالهجمات التي استهدفت السفن التجارية تحت عنوان "إسناد غزة" لم تكن مجرد تعبير عن موقف سياسي من الحرب، بقدر ما كانت اختبارا عمليا لقدرة الجماعة على تعطيل التجارة الدولية وفرض كلفة اقتصادية على العالم بأسره.

ولم يكن هذا التحول وليد القوة العسكرية للحوثيين وحدها، بل جاء أيضا نتيجة سلسلة طويلة من الأخطاء اليمنية والإقليمية والدولية. ففي الداخل اليمني أدى الانقسام بين مكونات الشرعية إلى استنزاف الجهد العسكري والسياسي في صراعات جانبية، وتحولت المنافسة على النفوذ بين القوى المناهضة للحوثيين إلى أحد أهم أسباب عجزها عن استعادة الدولة. كما انعكست الخلافات بين الأطراف الإقليمية الداعمة للشرعية على المشهد اليمني، فازدادت الجبهات السياسية تعقيدا في الوقت الذي كانت فيه الجماعة تعزز حضورها العسكري والإداري.

وأخطأت أطراف إقليمية ودولية في تقدير طبيعة المشروع الحوثي. فقد جرى التعامل مع الجماعة، في مراحل مختلفة، باعتبارها حركة محلية يمكن استيعابها عبر التسويات السياسية، بينما كانت هي تنظر إلى تلك التسويات بوصفها وسيلة لترسيخ الأمر الواقع والحصول على اعتراف سياسي من دون تقديم أي تنازل يتعلق بفك ارتباطها الإستراتيجي بإيران.

ولم تكن الضربات الأميركية والغربية التي استهدفت مواقع الحوثيين مختلفة كثيرا في نتائجها. فرغم قدرتها على تقليص بعض القدرات العسكرية للجماعة، فإنها ظلت عمليات محدودة ولم تتطور إلى حملة إستراتيجية تستهدف تفكيك البنية القيادية والعسكرية للحوثيين، كما حدث مع أطراف أخرى في المنطقة، وهو ما عزز قناعة الجماعة بأن هامش الحركة ما زال واسعا.

والأمر نفسه ينطبق على مسار الحوار الذي فتحته السعودية مع الحوثيين خلال السنوات الأخيرة. فالرياض تعاملت معه باعتباره مدخلا لإنهاء الحرب وبناء استقرار طويل الأمد في اليمن، انطلاقا من قناعة بأن التسوية السياسية أقل كلفة من استمرار الاستنزاف العسكري. لكن الجماعة قرأت هذا الانفتاح بطريقة مختلفة، واعتبرته مؤشرا على تراجع سعودي ورغبة في الخروج من الحرب بأي ثمن.

وتزداد دلالات هذا السلوك وضوحا إذا وضع في سياق التحولات التي تشهدها المنطقة. فالسعودية تعمل منذ سنوات على تقليص اعتمادها على مضيق هرمز عبر تعزيز مسارات بديلة لتصدير النفط إلى البحر الأحمر، بما يقلص من فعالية التهديدات الإيرانية بإغلاق المضيق. ومن هنا تبدو عودة الحوثيين إلى التصعيد رسالة إيرانية مباشرة مفادها أن أي محاولة لتجاوز ورقة هرمز ستواجه بتهديد الورقة الثانية، أي باب المندب والعمق السعودي، بما يبقي طهران ممسكة بأوراق التأثير في أمن الطاقة العالمي.

وبالنتيجة، فإن الهجوم على مطار أبها لا يمكن النظر إليه باعتباره استهدافا لمرفق مدني فحسب، بل باعتباره رسالة إستراتيجية تتعلق بأمن النقل والطاقة والاستثمار، وتهدف إلى تأكيد أن إيران ما زالت تمتلك أدوات قادرة على تهديد العمق الخليجي حتى في ظل الضغوط العسكرية والسياسية التي تواجهها.

والمفارقة أن هذا التصعيد جاء في وقت كانت فيه بعض دول الخليج، وعلى رأسها السعودية، تراهن على سياسة خفض التوتر مع إيران. فقد اختارت الرياض خلال السنوات الأخيرة الحوار بديلا عن التصعيد، وتعاملت مع التفاهمات الإقليمية باعتبارها مدخلا لتخفيف الأعباء الأمنية والاقتصادية، كما حافظت، خلال المواجهات الأخيرة، على قدر من الحياد، أملا في تجنيب المنطقة مواجهة شاملة.

غير أن الرسائل الإيرانية الأخيرة توحي بأن طهران لم تكن تنظر إلى الحوار بالمنطق ذاته. فقد استخدمت التهدئة لتخفيف الضغوط عنها ومنع فرصه لتشكيل منظومة أمنية خليجية أكثر تماسكا، فيما واصلت الحفاظ على أوراقها العسكرية الإقليمية دون تغيير.

تحمل الاستهدافات الإيرانية المتزامنة التي طالت منشآت خليجية، وكذلك تحرك الحوثيين ضد الأمن القومي السعودي، رسالة واضحة إلى الخليجيين مفادها أن الجميع في سلة واضحة بالنسبة إلى إيران، أيا كانت مواقفهم مرنة أو قريبة من إيران في الموقف من الحرب. لا تريد إيران أن يأخذ الخليجيون مسافة عن الموقف الأميركي منها. الحياد الخليجي في الحرب ينسف سرديتها القائمة على المظلومية والزعم بأنها مستهدفة من الجميع وأن جيرانها يتحركون في مربع العداء الأميركي لها.

هذه السردية هي التي توحد الموقف الداخلي وتعيق الانشقاقات داخل النظام وتحد من تراجع الولاء الشعبي. لكن الأهم أن إيران لا تنظر إلى الخليجيين كجيران يمكن بناء الثقة معهم، ولكن كميدان لتصدير الثورة، وهذا هو الخطر الأكبر لأن الاستهداف سيظل قائما سواء وجد التهديد الأميركي أم لم يوجد، شاركت إسرائيل في الحرب أم لم تشارك.

ومن هنا تحديدا قد تفضي الرسائل التي أرادت إيران توجيهها إلى نتيجة معاكسة. فبدلا من تكريس التباينات الخليجية، قد تدفع الخليجيين إلى إعادة ترتيب أولوياتهم الأمنية. لقد أظهرت السنوات الماضية أن الخلافات الخليجية حول اليمن، سواء في مقاربة الحرب أو في العلاقة مع القوى اليمنية المختلفة، منحت الحوثيين مساحة أوسع للمناورة.

قد يكون التحدي الحقيقي اليوم هو الانتقال من إدارة الأزمة اليمنية إلى بناء إستراتيجية خليجية موحدة تجاهها. فاليمن لم يعد ملفا خارجيا يخص دولة بعينها، بل أصبح جزءا من منظومة الأمن الخليجي، وأي اختلال فيه ينعكس مباشرة على أمن الحدود والطاقة والممرات البحرية والاستثمارات.

وهنا يصبح الحديث عن مصالحة خليجية حول اليمن أكثر من مجرد شعار سياسي. فالمقصود ليس إزالة كل التباينات بين العواصم الخليجية، وإنما الاتفاق على أولوية واحدة تتقدم على بقية الملفات، وهي منع تحول اليمن إلى قاعدة دائمة للمشروع الإيراني. وما عدا ذلك من اختلافات في الرؤى أو في العلاقات مع القوى اليمنية المختلفة، يمكن أن يبقى ضمن الأطر السياسية القابلة للإدارة، من دون أن يتحول إلى عامل يضعف الموقف الخليجي المشترك.

هل يدفع اتساع الخطر الحوثي - الإيراني العواصم الخليجية إلى إعادة بناء مقاربة موحدة للملف اليمني بعد سنوات من تباين الأولويات واختلاف الرؤى حول إدارة الأزمة؟

وتبدأ هذه المقاربة بإعادة إحياء التحالف العربي، ولكن بصيغة أكثر تماسكا ووضوحا، يكون هدفها استعادة الدولة اليمنية، لا إدارة توازنات داخلية بين القوى المتنافسة. كما تقتضي إعادة ترتيب البيت اليمني نفسه، عبر توحيد مكونات الشرعية حول هدف استعادة مؤسسات الدولة، وتأجيل الصراعات المتعلقة بشكل النظام السياسي أو مشاريع الانفصال أو توزيع السلطة إلى مرحلة لاحقة، يقرر فيها اليمنيون، عبر مؤسسات منتخبة، مستقبل دولتهم.

فاستمرار الانقسام داخل معسكر الشرعية لم يعد يمثل مشكلة يمنية فحسب، بل تحول إلى ثغرة إستراتيجية تنفذ منها إيران لتثبيت حضورها على حدود الخليج. وكلما طال أمد هذا الانقسام، ازدادت كلفة استعادة الدولة، وازدادت احتمالات تحول اليمن إلى ساحة مفتوحة للتنظيمات المتشددة وللتدخلات الإقليمية المتنافسة.

لم يعد السؤال الحقيقي هو كيف يمكن احتواء الحوثيين؟ بل كيف يمكن منع اليمن من التحول نهائيا إلى منصة إيرانية دائمة على الخاصرة الجنوبية للخليج؟ فهذه هي المعركة الإستراتيجية التي ستحدد شكل الأمن الإقليمي خلال السنوات المقبلة، وهي معركة لا يمكن كسبها عبر تفاهمات مؤقتة أو حلول جزئية، وإنما عبر رؤية خليجية موحدة تعيد تعريف اليمن باعتباره ركيزة من ركائز الأمن الجماعي.

وإذا كان الهجوم على مطار أبها قد كشف شيئا، فهو أن أمن الخليج لم يعد يقبل التجزئة، وأن أمن اليمن لم يعد شأنا يمنيا خالصا، بل أصبح جزءا لا يتجزأ من منظومة الأمن الخليجي.

حرب متقطعة... في ظلّ جنون إيراني

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

عادت الحرب الأميركيّة – الإيرانية بطريقة مختلفة، أي بشكل هجمات متقطعة. ليس في نية دونالد ترامب خوض حرب شاملة، لكنه لا يستطيع عدم الردّ، لأسباب داخليّة، على الهجمات الإيرانيّة التي تستهدف سفنا وناقلات في مضيق هرمز.

في العمق، لا بد من التساؤل ما الذي جعل إيران تخرق بشكل مفضوح مذكرة التفاهم التي توصلت إليها مع الولايات المتحدة عبر المفاوضات التي جرت في سويسرا مع وفد أميركي برئاسة نائب الرئيس جي. دي. فانس؟

لا شكّ أن أسبابا كثيرة يمكن أن تفسّر التصرف الإيراني الغريب القريب من الجنون. جعل ذلك دونالد ترامب يذهب إلى حد وصف المسؤولين الإيرانيين بـ"المرضى" و"الكذابين" الذين لا يمكن التعامل معهم. بل راح إلى أبعد من ذلك في استخدام عبارات تكشف خيبة كبيرة من المسؤولين الإيرانيين قبل أن يعلن عن نهاية العمل بمذكّرة التفاهم.

لكنّ التفسير الأهمّ للجنون الإيراني يكمن في سعي دول المنطقة إلى البحث عن طرق لتجاوز مضيق هرمز. يكون ذلك إن عبر البحر الأحمر أو عبر البحر المتوسط، مع ما يستدعيه الأمر من تفاهمات مع الأردن وسوريا أو مع العراق وتركيا، وفي مرحلة لاحقة مع اليمن. لا يعبّر عن الجنون الإيراني أكثر من الاعتداءات التي تتعرّض لها دول الخليج والأردن وكأن "الجمهوريّة الإسلاميّة" في حرب مع هذه الدول وليس مع أميركا وإسرائيل.

يبدو الهدف الواضح بلوغ النفط والغاز إلى أوروبا ومناطق أخرى في العالم من دون أن تكون الدول الأوروبيّة، على وجه الخصوص، تحت رحمة إيران. كلّ ما في الأمر أنّ إيران شعرت أن الوقت، الذي راهنت عليه، لا يخدم إستراتيجيتها وأن العمل جار من أجل الإستغناء عن مضيق هرمز الذي تعتبر أنّه ورقتها الأساسيّة في المواجهة مع الولايات المتحدة وفي الضغط على الاقتصاد الدولي.

جاء بحث دول الخليج عن مسارات جديدة لخطوط أنابيب النفط والغاز ليحرم "الجمهوريّة الإسلاميّة" من ورقتها الرابحة التي جعلت الإدارة الأميركيّة توقع مذكرة التفاهم مع إيران، غير مدركة أنّها تتعامل مع نظام من نوع مختلف لا علاقة له بأي قيم مرتبطة بالقانون الدولي واحترام سيادة الدول الأخرى. كانت السياسة الوحيدة التي يمكن ربط النظام الإيراني بها منذ قيامه في العام 1979، هي سياسة اسمها الابتزاز.

في كلّ الأحوال يعكس لجوء الولايات المتحدة للضربات العسكريّة، ردًا على استهداف "الحرس الثوري" لناقلات، بينها ناقلة قطريّة وأخرى سعوديّة كانت تعبر مضيق هرمز، اكتشافا متأخرا كثيرا للرئيس الأميركي لطبيعة المسؤولين الإيرانيين وللنظام القائم نفسه. أن يكتشف ترامب النظام الإيراني متأخرا يبقى أفضل من ألّا يكتشفه أبدا!

لم تكن من حاجة إلى كلّ هذا الوقت كي يدرك دونالد ترامب مع من يتعامل وأنّ النظام الإيراني لم يتغيّر يوما. لم يحترم هذا النظام أي قانون دولي أو أي قيم إنسانيّة في يوم من الأيّام. تؤكد ذلك مأساة جنوب لبنان التي تسببت بها "الجمهوريّة الإسلاميّة". كلّ ما رآه الإيرانيون في مذكرة التفاهم مع الإدارة الأميركيّة فرصة لكسب الوقت. لم يحترم النظام الإيراني الفقرة الأساسيّة في مذكرة التفاهم، وهي الفقرة التي تتمثل، بالمفهوم الأميركي، في المحافظة على حريّة الملاحة في مضيق هرمز.

كان بقاء هرمز مفتوحا مسألة محوريّة بالنسبة إلى ترامب نفسه الذي رأى في هبوط أسعار النفط إنجازا كبيرا يستطيع تسويقه في الداخل الأميركي. كان ترامب في حاجة إلى هذا الإنجاز الذي يخدمه في تعاطيه مع المواطن الأميركي العادي. لذلك جنّ جنونه عندما عاد "الحرس الثوري" إلى عرقلة الملاحة في مضيق هرمز. قبل ذلك اكتشفت إيران مدى جدّية دول المنطقة في العمل على الاستغناء عن مضيق هرمز. هذا ما يفسّر عودة التركيز الإيراني على اليمن والحوثيين الذين عادوا إلى توجيه تهديدات إلى المملكة العربيّة السعودية بعدما التزموا طويلا نوعا من التهدئة معها.

بالنسبة إلى إيران، يستطيع الحوثيون لعب دور مهمّ في تعطيل الملاحة في البحر الأحمر ومنع مرور ناقلات النفط فيه. ليس صدفة خرق "الجمهوريّة الإسلاميّة" الحظر المفروض دوليا على مطار صنعاء لتأكيد أن الحوثيين ورقة في تصرّفها وأن ليس في استطاعة هؤلاء الخروج عن عصا الطاعة الإيرانيّة.

ما قيمة مذكّرة التفاهم مع الولايات المتحدة عندما لا تكون لدى إيران ورقة اسمها هرمز تضغط بها على العالم وتتحكّم بأسعار النفط والغاز فيه؟

تبقى نقطة في غاية الأهمّية. ليس دونالد ترامب وحده الذي أعاد اكتشاف الإيرانيين والنظام القائم في طهران. هناك باكستان التي تبيّن بكلّ بساطة أن وساطتها بين الولايات المتحدة وإيران لا تفيد في شيء. كل ما تستطيع باكستان عمله هو أن تكون ورقة إيرانيّة لا أكثر. استفادت "الجمهوريّة الإسلاميّة" إلى أبعد حدود من باكستان. لعبت باكستان دورا في جعل إدارة ترامب تعتقد أنّ في الإمكان عقد صفقة متوازنة مع إيران تقوم على المحافظة على حريّة الملاحة في مضيق هرمز.

ارتدت لعبة كسب الوقت على إيران. ترفض دول المنطقة قبل غيرها أن تكون رهينة مضيق هرمز. هذا ما يفسّر الجنون الإيراني الذي لم يأخذ في الاعتبار خروج دونالد ترامب عن طوره ولجوءه إلى منطق القوّة مجددا.

هل عادت الحرب؟ ذلك هو السؤال الكبير الذي من الباكر الإجابة عنه. الأكيد أن حرمان "الجمهوريّة الإسلاميّة" من ورقة مضيق هرمز والعمل على تجاوز المضيق جعلاها تجازف بمذكرة التفاهم مع الولايات المتحدة. ما قيمة هذه المذكّرة عندما لا تكون لدى إيران ورقة اسمها هرمز تضغط بها على العالم وتتحكّم بأسعار النفط والغاز فيه؟

كان المضيق لعبة إيرانيّة مكنتها من التوصّل إلى مذكّرة التفاهم التي قدمت فيها الولايات المتحدة تنازلات كبيرة، شملت ربط إيران بالحل في لبنان.

يبدو أن تجاوز المضيق، الذي تعمل عليه دول المنطقة، يشبه حرمان طفل من لعبته المفضّلة. ليس تصرّف "الحرس الثوري" سوى تصرّف طفل جرى تشليحه لعبته هذه!

هل عادت الحرب؟

الردع السعودي لاعتداءات الحوثي يجهض مناورات طهران في باب المندب

البرّاق شادي عبدالسلام
كاتب وباحث مغربي

يفرض المشهد الجيو-استراتيجي الراهن حتمية وجودية للتكامل الخليجي الشامل وتوحيد الجهود الدفاعية، بوصفه الدرع الأساسي القادر على مواجهة التهديدات الإيرانية المتنامية وتحركات وكلائها العابرين للحدود؛ إذ يشكل العمل المشترك صمام الأمان لحماية الأمن القومي الجماعي لدول مجلس التعاون. ويتجلى هذا التضامن العضوي في التنسيق العسكري والسياسي المستدام بين عواصم المنطقة، مما يجهض مساعي تفكيك الجبهة الداخلية للخليج العربي أو استفراد القوى التوسعية بأي من مكوناتها الحيوية. وتؤكد الوقائع الميدانية أن مجابهة التحديات الهجينة تتطلب استجابة جماعية موحدة تدمج أوراق القوة الصلبة والناعمة، محولة فضاء الخليج إلى كتلة إستراتيجية متماسكة تفرض شروطها السيادية وتصون مكتسباتها التنموية في مواجهة محاولات الهيمنة أو تصدير الأزمات السياسية والأمنية.

وبناءً على هذا المعطى البنيوي، يمثل استهداف الأراضي والمنشآت الحيوية للمملكة العربية السعودية من طرف ميليشيا الحوثي اعتداءً مباشرًا يضرب ميكانيزمات الاستقرار الإقليمي في مقتل، حيث يتجاوز هذا الهجوم حدود الصراع المحلي ليتشابك بنيويًا مع التوازنات الدولية الكبرى. وتشكل الجغرافيا السياسية للمملكة حجر الزاوية الذي يرتكز عليه أمن الطاقة العالمي وسلاسل الإمداد الدولية، الأمر الذي يجعل أي محاولة للمساس بأمنها الجوي أو البري بمثابة زعزعة متعمدة لأمن الاقتصاد الدولي برمته. وتأسيسًا على هذا الترابط، تفرض الدبلوماسية الدفاعية للرياض واقعًا ميدانيًا صارمًا يقوم على الكفاءة التكتيكية العالية للمنظومات الدفاعية الملكية، والتي تساندها في ذلك الدبلوماسية الأمنية الفاعلة والدور الإماراتي القوي في تنسيق منظومة الدفاع المشترك وتأمين وحماية العمق الإستراتيجي للخليج العربي، مبرهنةً على جاهزية سيادية صلبة تحمي المقدرات الوطنية وتصون مصالح الشركاء الدوليين.

الردع السعودي يثبت جاهزية تكتيكية وسيادة ميدانية صلبة، محبطًا اعتداءات الحوثي ومناورات طهران ومؤكدًا أن أمن المملكة هو حجر الزاوية لاستقرار الاقتصاد الدولي

ونتيجة لذلك، تنطلق هذه المغامرات العسكرية المحمومة من رغبة واضحة لدى النظام الإيراني في تخفيف الضغط الخانق المفروض عليه جراء العقوبات والحصار الاقتصادي الدولي، محولًا الذراع الحوثية إلى مجرد صندوق بريد مكشوف لتصريف مأزقه الإستراتيجي في المنطقة. ومن هذا المنطلق تجد طهران في تحريك الجبهة اليمنية وسيلة للهروب إلى الأمام وسبيلاً لعولمة أزمتها البنيوية، عبر دفع وكلائها الإقليميين لتبني خيارات انتحارية تستهدف دول الجوار. وفي مقابل هذه التحركات ترفض المملكة العربية السعودية منطق الابتزاز بالوكالة أو تحويل أراضيها وفضاءاتها السيادية إلى ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية، متجهة نحو تفعيل رؤية إستراتيجية واضحة تفرز المسارات وتتعامل مع مصادر التهديد بحسم سياسي وعسكري لا يلين، واضعةً سلامة مواطنيها وحرمة حدودها فوق كل اعتبار ومقايضة.

وارتباطًا بهذه الديناميكية المتسارعة، يظهر هذا التصعيد العضوي بشكل وثيق بتهديد الملاحة البحرية في مضيق باب المندب، كإجراء انتقامي وكرد فعل مباشر على الحصار الاقتصادي المضروب على مضيق هرمز والموانئ الإيرانية الحيوية. ومن ثم، تحاول طهران عبر هذه المناورة فرض معادلة ردع وهمية تقوم على مقايضة سلامة الممرات المائية الدولية، مرسلة رسائل مشفرة مكتوبة بالبارود تفيد بأن إغلاق منافذها البحرية في الخليج العربي سيقابله شلل تام في حركة التجارة العالمية العابرة للبحر الأحمر. وحيال هذا التهديد، يصطدم هذا الرهان الإيراني القاصر بالعمق الدفاعي للمملكة العربية السعودية، والتي تعتبر مضيق باب المندب عمقًا أمنيًا حيويًا لا ينفصل عن هندسة أمنها القومي، حيث تبرز أبوظبي كعامل استقرار محوري من خلال حضورها البحري المؤثر والجاهزية العالية لقواتها في إسناد تأمين ممرات الملاحة الجيو-استراتيجية في بحر العرب، وخلق غطاء دفاعي صلب يجهض مساعي عسكرة السواحل من قبل جماعات الإرهاب العابر للحدود.

وفي هذا الإطار المتسارع يبرز الفهم القاصر للنظام الإيراني وأدواته الإقليمية -وفي مقدمتها جماعة الحوثي- إزاء التحولات الميدانية المتلاحقة على الصعيدين الإقليمي والدولي، حيث يتبدى ارتهان هذه الأطراف لمعادلات إستراتيجية متقادمة انتهت صلاحيتها السياسية والميدانية تمامًا بتحييد مهندسيها من المشهد الإقليمي. إذ تتحرك طهران ووكلاؤها بناءً على قراءات كلاسيكية تجاوزها الزمن، معتقدين واهمين بقاء موازين القوى السابقة وقدرة تكتيكات الابتزاز التقليدية على تغيير المعادلات الجيوسياسية الحالية في المنطقة. غير أن العجز عن استيعاب حجم القوة الصارمة للمنظومات الدفاعية الحديثة وقوة التحالفات الخليجية الدولية المتجددة، يوقع الميليشيات الإرهابية في مصيدة الحسابات الخاطئة والرهانات الانتحارية، مما يعزلها بنيويًا ويسرّع من عملية تقويض نفوذها وتفكيك قدراتها العسكرية أمام حزم القوى السيادية المستندة إلى الشرعية الدولية والشرعية الميدانية.

البُعد الإقليمي يتجلى في تكامل الدفاع الخليجي حيث يشكل التنسيق السعودي - الإماراتي غطاءً إستراتيجيًا يحمي الملاحة الدولية ويجهض رهانات إيران على عسكرة باب المندب

وفي هذا السياق المتسارع تثبت الرياض عبر مؤسستها العسكرية كفاءة قتالية استثنائية وجاهزية عملياتية رفيعة المستوى في الذود عن استقلالية القرار الوطني وتأمين المجال السيادي للمملكة برًا وبحرًا وجوًا، وهو ما أثبتته التطورات الميدانية الأخيرة في سماء أبها، حيث قامت القدرات العسكرية الفائقة بالسيطرة الميدانية الكاملة والقدرة على تحييد كافة التهديدات الهجينة، مستندة إلى منظومات دفاعية متطورة وعقيدة عسكرية صارمة لا تقبل المساومة.

ويمتد هذا النفوذ الدفاعي الحاسم ليشمل تأمين العمق الإستراتيجي للمملكة في مضيق باب المندب والبحر الأحمر، حيث تفرض الدبلوماسية الدفاعية والقدرات البحرية للرياض معادلة أمنية صلبة تقطع الطريق أمام محاولات القرصنة والابتزاز الإيراني عبر وكلائها الإقليميين. ومن ثم، فإن السيادة الميدانية المطلقة للقوات المسلحة السعودية لا تحمي الحدود الوطنية والمنشآت الاقتصادية الحيوية فحسب، بل تشكل الضمانة الأساسية لحرية الملاحة الدولية في باب المندب واستقرار سلاسل الإمداد العالمية في مواجهة كل محاولات التخريب والعبث بأمن المنطقة.

وكلاء عابرون للحدود

يحاولون ضده بالتشويش وبداعش، والمغرب مصمم ولا يرتعش

المغرب يواصل بحماس وبهدوء ويقظة مساره النهضوي

طالع السعود الأطلسي
كاتب مغربي

كان المغرب على بعد "أمتار" زمنية قليلة من تعرُّضه لإجرام إرهابي ضد مواطنيه وضد مؤسساته وضد سلامته واستقراره مع بداية هذا الشهر... غير أن "السور" الأمني المغربي المتين، اليقظ والمتحرِّك، طوَّق تلك النوايا الإرهابية في وكرها بغارة استباقية قوية المفعول، شملت سبع مدن مغربية، واجتثت عشرة إرهابيين مفترضين، مدجّجين بمبايعتهم لداعش، وبدلائل عينية على مخططاتهم الإجرامية.

التحضير للإجرام الإرهابي ضد المغرب كان في طور متقدم وعلى وشك التفجُّر، غير أن الجاهزية الأمنية المغربية رصدته بأهبَتها الدائمة وفعاليتها النشيطة وحالة الاستنفار الحادة، أمنيًا واستخباراتيًا، ليسلَم المغرب من الأذى وليُواصل انهماكه في إنبات مقوِّمات التقدم في الجغرافيا وبها، وبالتاريخ وفيه. ومنبع ذلك التخطيط الإرهابي تلك الكومة من الأعشاب الضارة التي تعشش فيها أفاعي مخابرات سامة تنفث سمها ضد المغرب. واضح أن النجاحات المغربية المتنوعة والمتميزة في بيئته الجغرافية لا تسعد كثيرين، بل وتقلق من بينهم كثيرين. ولدينا فيما جرى في المحفل العالمي لكرة القدم من تألق مغربي مثال ملموس على ما أبان عنه بعض "ذوي القربى" من حنق وغيظ وانزعاج عالي الدرجات.

تابعنا كيف أن غليان الحقد ضد المغرب من انتصاراته الكروية في المستوى العالمي وصل حدّ تجنيد شباب لإحراق العلم المغربي في إحدى ضواحي باريس بعيد انتصار المغرب على الفريق الهولندي، في عملية استفزازية ليس إلا، ومعبِّرة عن انتفاخ مرضي في أورام العقد النفسية لدى الآمرين بذلك الإحراق.

تلك الحملة المسعورة ضد نجاحات المنتخب المغربي طالت السياسات والبنيات الرياضية المغربية، والتي بها أصبح المغرب اليوم ضمن الفرق الكروية الثمانية الأولى في العالم، وهو الوحيد من الدول الأفريقية والعربية والإسلامية. الحملة الدائمة تؤطّر منذ سنوات ضد الكيان المغربي ككل، وبفجاجة ووقاحة ضد شخص الملك محمد السادس، وبالكثير من الاختلاقات والسباب الصريح.

حملة ضد تقدم المغرب اقتصاديا، وهو الذي تحصّل على موقع ريادي في أفريقيا، وانتزع المرتبة الأولى أفريقيّا في الإنتاج الصناعي، وكرّس جاذبية اقتصادية وسياسية في أفريقيا والعالم العربي. وطوّر من ممكناته الجالبة للاهتمام الدولي به وبفعاليته في العلاقات مع الدائرة الأوروبية والمتوسطية والأميركية والآسيوية.

الحملة أيضا ضد انتصارات المغرب الدبلوماسية الباهرة في توسيع التبني الدولي لمقترح الحكم الذاتي، بل وأيضا في توسيع التصريح الدولي بمغربية الأقاليم الصحراوية على قاعدة المنطوق الصريح للحقائق التاريخية. وأول وأهم المصرحين بذلك إسبانيا وفرنسا المتصلتان تاريخياً بالمنطقة المغاربية وضمنها الأقاليم الصحراوية، وطبعا الإدارة الأميركية التي دوّت تصريحات رئيسها دونالد ترامب بتلك الحقيقة في الأرجاء الدبلوماسية الواسعة في العالم.

المغرب يواجه حملات التشويش الإقليمي بثبات أمني ودبلوماسي، محبطًا محاولات زعزعة استقراره عبر الإرهاب أو الدعاية ومؤكدًا أن نجاحاته التنموية والسياسية تزيد من قوته الدولية

تلك فقط عينة وفضاء أقرب في المجال الزمني لسياسة العداء التي يمارسها جيران المغرب عن سبق إصرار وترصُّد. والمفترض أن يعمل منشطو الحملة تلك على التخفيف من حدتها تحسُّبا لما تقود إليه الإرادة الدولية من الحاجة إلى إخماد التوتر مع تنزيل حل النزاع حول الصحراء المغربية.

حل نزاع الصحراء المغربية بات من مستعجلات الإرادة الدولية، وعنوان الاستعجال هو قرار مجلس الأمن الدولي رقم 2797 لأكتوبر الماضي. وللاستعجال مؤشرات تدل عليها تحركات الدول الوازنة في صوغ تلك الإرادة الدولية، وهي منشغلة بترتيب أوضاع ما بعد تنزيل الحل من بُعدها الاقتصادي أولاً، وهو الغاية العميقة بعد المصلحة الجيو-استراتيجية من التعاطي السياسي الضاغط لتنزيل الحكم الذاتي في الأقاليم الصحراوية.

التهاب الوضع الدولي من بؤرة الشرق الأوسط باستمرار الحرب الأميركية - الإسرائيلية على إيران، وبضياع مسالك الخروج منها وسط الضباب الذي أغرقها فيه سؤال: من المنتصر على من؟ ذلك الالتهاب "يمشكل" التنبؤ بآجال وبكيفية توقفه أو استمراره، ويزيد من انشغال الدول الكبرى بالمنطقة المغاربية وبأهمية استقرارها وإخماد مواقد اشتعالها، لأنها في موقع التقاطع ما بين أوروبا والعالم العربي وأفريقيا.

ليبيا موقد ملتهب لذاته، وتلقمه حطب الاشتعال أطراف من جواره ومن خارجه، ولكنه مزعج في النظر الشمولي للمنطقة، مزعج أساسا في احتمالات استفزاز شرارات التهابه لما وراء حدوده. ولهذا يكاد السيد مسعد بولس، مبعوث الرئيس ترامب، يقيم في ليبيا محالاً رأب تصدعاتها ووضع البلد في سكة الاستقرار المؤسساتي والأمني.

بعد 14 شهرا من القطيعة عادت العلاقات المالية-الجزائرية إلى طبيعتها الأصلية، إذ الطرفان في حاجة إلى بعضهما البعض، بخاصة في مواجهة الإرهاب المعشِّش في الصحراء المترامية الأطراف التي تحضن الحدود بينهما، وهي الصحراء التي تسرح فيها وتمرح العصابات الإجرامية والإرهابية المعتاشة من الرواج الكثيف للميليشيات العشوائية في المنطقة، وبوليساريو مساهمة بانتعاشه. والإرادة الدولية تسعى إلى تخليص المنطقة من مهددات استقرارها ومنها براميل البارود المحيطة بها أو الكامنة فيها.

الإرادة الدولية تحتاج إلى المغرب بتدخله وبتأثيره في المساهمة الفاعلة لدفع المنطقة ككل نحو الاستقرار، بالاحترام الذي اكتسبه في ليبيا بكل أطراف تدافعاتها السياسية، وفي منطقة الساحل مع كل دولها. وتحتاجه متحررا من نزاع سُلِّط عليه وتحمله لأزيد من نصف قرن. واليوم قررت الإرادة الدولية رفعه عنه وتثبيت انتصاره فيه، لكي تربحه فاعلاً دوليًا متعدد الممكنات، ومن الموقع المغاربي المطلوب للمساهمة في تحولات الوضع الدولي. ولهذا فالمغرب يواصل بحماس، بهدوء وبيقظة مساره النهضوي لذاته، وليكون فاعلاً في الاتجاه الواعد في تقويم حركة التاريخ حيثما يُنادى عليه لذلك في الوضع الدولي.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

ظاهرة اجتماعية وموسيقية

نوردو... حكاية «عابر سبيل»
قصة جيل يحاول أن يجد لغته الجديدة

علي قاسم
كاتب سوري

آلاف الهواتف المرفوعة في الهواء لم تكن توثق مغنيًا يؤدي أغنيته الجديدة "عابر سبيل"، بقدر ما كانت توثق لحظة وجد فيها الجمهور نفسه داخل الكلمات والإيقاع.

المشهد في مسرح بنزرت كان لافتًا؛ شباب يحفظون المقاطع عن ظهر قلب، وعائلات جاءت مع أبنائها، وأطفال يرددون اللازمة الموسيقية، فيما يختلط إيقاع الراب بنبرة رومانسية أقرب إلى الأغنية العربية الكلاسيكية. في تلك اللحظة، بدا واضحًا أن نوردو لم يعد مجرد مغنٍ تونسي ناجح، بل أصبح عنوانًا لتحولٍ موسيقي وثقافي أوسع، تتجاوز أصداؤه حدود تونس إلى فضاء عربي يبحث عن أصوات جديدة تعبّر عنه.

سيرة جيل

من السهل أن نصف نوردو بأنه مغني راب، لكن هذا الوصف لم يعد كافيًا منذ سنوات. فالراب الذي يقدمه لا يشبه القوالب التقليدية التي تقوم على الإيقاع السريع والكلمات الحادة فقط، كما أن الأغنية العاطفية لديه لا تستسلم بدورها لقواعد الطرب التقليدي. ما يفعله في الحقيقة هو بناء مساحة مشتركة بين عالمين كان يُنظر إليهما طويلًا باعتبارهما متناقضين: عالم الشارع بما يحمله من لغة مباشرة، وغضب، وإيقاع سريع، وعالم الأغنية الوجدانية التي تمنح المستمع فسحة من التأمل والحنين.

وربما تكمن هنا خصوصية تجربته. فجيل اليوم لا يعيش حياة مستقرة يمكن التعبير عنها بلون موسيقي واحد. إنه جيل يتنقل يوميًا بين القلق والأمل، بين صعوبة الواقع ورغبة الهروب منه، بين لغة مواقع التواصل السريعة، وبين احتياجه إلى أغنية تمنحه شيئًا من الدفء الإنساني. ولهذا، فإن نوردو لا يغني لهذا الجيل فقط، بل يغني بلغته.

عندما بدأ مسيرته في فضاء الراب التونسي، كان المشهد الموسيقي يعيش تحولات عميقة. فقد خرج الراب تدريجيًا من الهامش ليصبح أحد أكثر الأنماط الموسيقية حضورًا بين الشباب، مستفيدًا من الثورة الرقمية ومنصات البث، التي حررت الفنانين من القيود التقليدية لشركات الإنتاج والإذاعات. لكن الكثير من التجارب بقيت أسيرة خطاب واحد، يقوم على الاحتجاج أو استعراض المهارات الإيقاعية. أما نوردو فقد اختار طريقًا مختلفًا.

كان يدرك أن الجمهور لا يبحث دائمًا عن الصراخ، بل يبحث أيضًا عن الشعور. لذلك جاءت أعماله لتقدم مزيجًا غير مألوف من الإيقاع والكلمة واللحن. ففي أغنيات مثل "غريبة" و3ARBOUCH، لم يكن النجاح قائمًا على سهولة اللحن وحدها، بل على قدرة الأغنية على الجمع بين بساطة التعبير وعمق الإحساس. لقد بدت تلك الأعمال وكأنها تكتب سيرة جيل بأكمله، لا قصة فرد واحد.

وهذا ما يفسر الانتشار اللافت لأغانيه خارج تونس. فالمستمع المغربي أو الجزائري أو الليبي أو المصري، رغم اختلاف اللهجات، استطاع أن يجد في تلك الأغاني ما يشبه تجربته الشخصية. فالمشاعر الكبرى لا تحتاج إلى ترجمة كاملة؛ يكفي أن تكون صادقة حتى تعبر الحدود.

ولعل اللافت في تجربة نوردو أن صعوده جاء في لحظة كانت الأغنية التونسية تبحث فيها عن هوية جديدة. لعقود طويلة، ارتبطت الموسيقى التونسية بأسماء كبيرة مثل صليحة، وعلي الرياحي، والهادي الجويني، ثم لطفي بوشناق وصابر الرباعي، وهي أسماء صنعت مدرسة تقوم على الطرب والقصيدة واللحن الكلاسيكي. لكن الأجيال الجديدة لم تعد تكتفي بهذا الإرث، رغم أهميته، بل أرادت أن تضيف إليه لغة عصرها، وإيقاع شوارعها، وأسئلتها اليومية.

هنا تحديدًا يظهر نوردو بوصفه حلقة وصل بين زمنين. فهو لا يقطع مع التراث الغنائي، ولا يذوب بالكامل في موسيقى الراب العالمية. بل يحاول أن يمنح الأغنية التونسية صوتًا جديدًا، قادرًا على مخاطبة المستمع العربي من دون أن يفقد لهجته أو هويته المحلية. وربما لهذا السبب تحديدًا امتلأت المسارح في حفلاته، من قرطاج إلى بنزرت، ومن صفاقس إلى مهرجانات أخرى. فالجمهور لا يأتي فقط لسماع الأغاني، بل ليشارك في تجربة جماعية يشعر خلالها بأن الموسيقى ما زالت قادرة على جمع الناس حول إحساس واحد، في زمن أصبحت فيه الانقسامات أكثر حضورًا من أي وقت مضى.

> نوردو حلقة وصل بين زمنين؛ فهو لا يقطع مع التراث الغنائي، ولا يذوب بالكامل في موسيقى الراب العالمية

لقد تحول نوردو، بهدوء ومن دون ضجيج نظري، إلى أكثر من مغنٍ ناجح. أصبح أحد الأصوات التي تساعد على فهم التحولات التي يعيشها المجتمع التونسي نفسه؛ مجتمع يحاول أن يصالح بين ماضيه الموسيقي العريق، وبين إيقاع عالم جديد لا يتوقف عن التغير.

ليس من قبيل المصادفة أن تتحول حفلات نوردو إلى ما يشبه الاحتفال الجماعي أكثر منها عرضًا موسيقيًا. فمن يقف في مدرجات قرطاج أو بنزرت أو صفاقس يلاحظ سريعًا أن الجمهور لا يكتفي بالاستماع، بل يغني معه كل كلمة، وكأن الأغاني لم تعد ملك صاحبها، بل أصبحت جزءًا من الذاكرة اليومية لمن يرددونها. وهنا تحديدًا تبدأ الظاهرة.

الهوية ليست قيدًا

لعل السر يكمن في أن نوردو لا يقدم نفسه بوصفه نجمًا بعيدًا عن جمهوره، بل يبدو واحدًا منه. لا يتحدث من برج مرتفع، ولا يصنع صورة الفنان الذي يعرف كل الإجابات. بل يغني كما لو أنه يشارك جمهوره الأسئلة نفسها: ماذا نفعل بالأحلام المؤجلة؟ كيف يمكن للحب أن يعيش وسط الضغوط اليومية؟ وهل يستطيع الإنسان أن يحتفظ بجزء من براءته في عالم يزداد صخبًا كل يوم؟

> حين يردد آلاف الشبان أغانيه في مسارح الصيف فهم لا يحتفلون بمغنٍ فقط بل يحتفلون بصورة من صورهم

هذه الأسئلة ليست جديدة، لكن الجديد هو اللغة التي تُطرح بها. فالأغنية العربية، لعقود طويلة، كانت تميل إلى البلاغة أو الرومانسية الكاملة، بينما جاء الراب ليمنحها لغة أكثر مباشرة وخشونة. أما نوردو فقد اختار منطقة ثالثة؛ لغة تحتفظ بعفوية الشارع، لكنها لا تتخلى عن الحساسية العاطفية. ولهذا تبدو أغانيه قريبة من شاب في العشرين كما هي قريبة من مستمع أكبر سنًا يجد فيها شيئًا من الأغنية التي نشأ عليها، لكن بإيقاع العصر.

وليس من المبالغة القول إن هذه القدرة على الجمع بين المتناقضات هي ما يفسر اتساع قاعدته الجماهيرية. فهو لا يخاطب جمهور الراب وحده، ولا جمهور الأغنية الرومانسية وحده، بل يلتقي مع الاثنين في نقطة وسطى. هناك، حيث يلتقي الإيقاع بالحكاية، والسرعة بالحنين، واللغة اليومية بالشعور الصادق.

ولأن الفن ابن بيئته، فإن تجربة نوردو لا يمكن فصلها عن التحولات التي عرفها المجتمع التونسي خلال العقد الأخير. فجيل ما بعد الثورة نشأ في فضاء مختلف تمامًا عن الأجيال السابقة. عالم مفتوح على الإنترنت، ومنصات البث، ووسائل التواصل، لكنه أيضًا عالم مثقل بالأسئلة الاقتصادية، والهجرة، والبطالة، وتبدل الأحلام. وفي مثل هذا الواقع لم يعد الجمهور يبحث عن الأغنية التي تعده بمدينة فاضلة، بل عن أغنية تشبه حياته، حتى وهي تمنحه لحظة هروب منها.

وهذا ما تفعله أعمال نوردو. فهي لا تنكر الواقع، لكنها لا تستسلم له أيضًا. فيها شيء من الشارع، لكن فيها أيضًا نافذة مفتوحة على الأمل. وربما لهذا تبدو موسيقاه أقل غضبًا من كثير من تجارب الراب التقليدية، وأكثر ميلًا إلى التأمل في المشاعر الإنسانية. إنه لا يصرخ بقدر ما يحكي، ولا يواجه العالم بالشعارات، بل يحاول فهمه من خلال قصص صغيرة يعرفها الجميع.

ولعل هذا ما يفسر أيضًا نجاحه خارج تونس. فالحدود التي كانت تفصل الأغنية المغاربية عن المشرق العربي بدأت تتلاشى مع المنصات الرقمية. لم تعد اللهجة التونسية عائقًا، بل أصبحت جزءًا من شخصية الأغنية. فالمستمع العربي اليوم لا يبحث عن لهجة موحدة، بل عن تجربة صادقة. وحين يجدها، تصبح الكلمات، مهما اختلفت مفرداتها، مفهومة بلغة الإحساس.

مزيج غير مألوف من الإيقاع والكلمة واللحن

عنوان لتحول موسيقي وثقافي واسع

ولذلك، فإن انتشار نوردو في الجزائر والمغرب وليبيا، ثم وصول أغانيه إلى جمهور في مصر والخليج، ليس مجرد نجاح تجاري، بل مؤشر على أن الموسيقى المغاربية دخلت مرحلة جديدة من الحضور العربي، مرحلة لم تعد تحتاج فيها إلى تغيير هويتها حتى تسمع.

ومن اللافت أيضًا أن نوردو ينتمي إلى جيل من الفنانين الذين لم تنتظرهم المؤسسات الفنية التقليدية حتى تمنحهم فرصة الظهور. لقد صنعتهم المنصات الرقمية أولًا، ثم جاءت المسارح لتؤكد نجاحهم، لا لتصنعه. وهذه مفارقة تعكس تحولًا أعمق في صناعة الموسيقى نفسها؛ إذ لم يعد الجمهور يتلقى ما تنتجه شركات التسجيل، بل أصبح هو من يقرر، عبر هاتفه وسماعاته، من يستحق أن يقف على أكبر المسارح.

> بناء مساحة مشتركة بين عالمين: عالم الشارع بلغته المباشرة وغضبه وإيقاعه السريع وعالم الأغنية الوجدانية وفسحة التأمل والحنين

وربما لهذا لا يمثل صعود نوردو نجاح فرد واحد فقط، بل يعكس تحرر الأغنية التونسية من حدودها التقليدية. فهي لم تعد تنتظر اعتراف الخارج بها، بل بدأت تفرض حضورها عبر جودة التجربة نفسها، مستفيدة من جيل جديد لا يرى تناقضًا بين المحلية والعالمية، ولا بين اللهجة التونسية والانتشار العربي.

إنه جيل يؤمن بأن الهوية ليست قيدًا، بل نقطة انطلاق. ونوردو، في كثير من أعماله، يبدو واحدًا من أبرز الأصوات التي منحت هذا الإيمان إيقاعًا يمكن الرقص عليه، وكلمات يمكن ترديدها، وذاكرة موسيقية قد تبقى طويلًا بعد أن ينتهي الحفل وتُطفأ أضواء المسرح.

ربما يكون السؤال الأهم اليوم ليس كيف نجح نوردو؟ بل لماذا نجح في هذا التوقيت تحديدًا؟ فالفن، في النهاية، لا يعيش خارج زمنه، ولا يصبح صاحبه ظاهرة جماهيرية إذا لم يكن يعبر، بوعي أو من دونه، عن حاجة اجتماعية أعمق. وما حدث مع نوردو خلال السنوات الأخيرة يبدو أقرب إلى التقاء موهبة فردية بلحظة تاريخية كانت تبحث عن صوتها.

نافذة ثالثة

ما فعله نوردو أنه فتح نافذة ثالثة. لم يتخل عن طاقة الراب، لكنه خفف من صداميته. ولم يعد إلى الأغنية العاطفية التقليدية، لكنه استعاد منها قدرتها على ملامسة المشاعر. وبين هذين العالمين بنى أسلوبًا خاصًا، لا يبدو فيه التناقض بين الإيقاع واللحن تناقضًا حقيقيًا، بل حوارًا موسيقيًا يعكس طبيعة الجيل الذي يخاطبه؛ جيل يعيش في عالم سريع الإيقاع، لكنه لا يزال يحتاج إلى أغنية تمنحه لحظة هدوء وسط الضجيج.

ولعل هذا ما يفسر أن جمهوره لا ينتمي إلى فئة عمرية واحدة، ولا إلى طبقة اجتماعية بعينها. ففي حفلاته ترى الطالب الجامعي يقف إلى جانب الموظف، والمراهق يغني بجوار أب جاء في البداية لمرافقة ابنه، ثم وجد نفسه يردد الكلمات معه. إنها صورة نادرة في زمن أصبحت فيه الموسيقى أكثر تجزئة من أي وقت مضى، وصار لكل جيل، بل لكل منصة رقمية، ذوقها الخاص.

ومن هنا، فإن امتلاء مسارح مثل قرطاج وبنزرت وصفاقس لا يمكن تفسيره بمنطق الشهرة وحده. فالشهرة تصنع جمهورًا، لكنها لا تصنع حالة. أما الحالة، فتولد عندما يشعر الناس بأن الفنان يتحدث بلغتهم، لا بمعنى اللهجة فحسب، بل بمعنى التجربة الإنسانية المشتركة. وهذه ربما هي أكبر قوة يملكها نوردو: أنه لا يغني من فوق المسرح إلى الجمهور، بل يبدو كأنه يغني من داخله.

وقد تكون هذه السمة تحديدًا هي التي منحت الأغنية التونسية فرصة جديدة للحضور العربي. فعلى مدى سنوات، بقيت اللهجة التونسية تُعد من أصعب اللهجات على المستمع في المشرق، وكان ذلك يُنظر إليه بوصفه عائقًا أمام الانتشار. لكن الجيل الرقمي قلب هذه المعادلة. لم يعد المستمع يبحث عن لهجة مألوفة، بل عن تجربة صادقة. وحين يجدها، تصبح الموسيقى نفسها جسرًا يتجاوز اختلاف المفردات.

لهذا لم يعد غريبًا أن تحقق الأغاني التونسية اليوم أرقامًا مرتفعة في مختلف الدول العربية، أو أن تتحول أسماء مثل نوردو إلى حضور دائم على قوائم الاستماع في المنصات الرقمية. فالحدود التي كانت تفصل المشهد الموسيقي المغاربي عن المشرق بدأت تتآكل، لا بفعل الحملات التسويقية، بل لأن الجمهور نفسه أصبح أكثر استعدادًا لاكتشاف أصوات جديدة تحمل هويات مختلفة.

لكن القيمة الحقيقية لتجربة نوردو لا تكمن في عدد المشاهدات ولا في امتلاء المسارح، وإنما في السؤال الذي تطرحه على مستقبل الأغنية التونسية. فهل نحن أمام نجاح فردي عابر، أم أمام بداية مدرسة جديدة تستطيع أن تعيد تعريف موقع تونس في الخريطة الموسيقية العربية؟

المؤشرات توحي بأن الأمر يتجاوز حدود النجاح الشخصي. فجيل كامل من الفنانين التونسيين بات أكثر جرأة في المزج بين الأنماط الموسيقية، وأكثر ثقة في استخدام اللهجة المحلية، وأكثر انفتاحًا على التعاون مع فنانين من بلدان عربية مختلفة. وهذا يعني أن الهوية لم تعد تُفهم بوصفها انغلاقًا، بل باعتبارها نقطة انطلاق نحو العالم.

الموت والقلق الوجودي في «كأس وأكثر» للشاعر علي أزحاف

الموت والعدم يتصدران الفلسفة الوجودية لشاعر يحول الألم إلى مقاومة

يأتي ديوان "كأس وأكثر" للشاعر علي أزحاف كاعتراف شعري طويل بالهشاشة الإنسانية، حيث تتحول القصيدة لديه إلى ملاذ أخير لمواجهة عتمة العالم. ومن خلال تكرار مكثف لمفهوم الموت والعدم، يصوغ الشاعر تجربة وجودية حزينة وباردة تنبش قلقَ الإنسان المعاصر، مستخدما لغة مكثفة توازن بين رثاء الحياة والبحث عن نجاة مؤقتة.

إلياس الخطابي
كاتب مغربي

الشعر الحديث لم يعد يكتفي فقط بوصف الأحزان التقليدية المرتبطة بالفقد أو الحب أو الغربة، بقدر ما صار يتجه نحو أسئلة أكثر عمقا وتعقيدا، وتتعلق بقلق الإنسان المعاصر وعلاقته بالعدم والزمن والمصير. لذلك أصبح الشاعر الحديث يكتب من داخل التوتر النفسي والوجودي، ويجعل القصيدة مساحة لمساءلة الحياة ذاتها.

في هذا السياق تندرج تجربة الشاعر علي أزحاف، الذي يبدو وفيا منذ بداياته لصوت شعري مشبع بالحزن والتأمل الوجودي. فهو لا يكتب الواقع بوصفه مشهدا خارجيا فقط، وإنما يكتبه باعتباره جرحا داخليا يسكن الذات الإنسانية.

ديوان يكتب الموت لكنه أيضا يكتب الإنسان وهو يحاول أن يفهم معنى وجوده داخل هذا العالم القاسي

ويأتي ديوانه "كأس وأكثر" ليؤكد هذا المنحى الشعري القائم على الكتابة من داخل الألم. فمنذ العنوان يشعر القارئ أنه أمام تجربة لا تبحث عن الخفة أو الاحتفال، بقدر ما هو أمام نصوص مثقلة بالأسئلة والخيبات والقلق. فـ"الكأس" في الديوان ليست رمزا للفرح بقدر ما هي استعارة للمرارة الإنسانية، أما "أكثر" فهي ذلك الامتداد اللامحدود للحزن الذي يتجاوز قدرة اللغة نفسها على التعبير.

الحزن والعدم والتكرار

من خلال الاطلاع على الديوان كاملا، نلاحظ حضورا كثيفا لكلمة "الموت"، حيث تكررت داخل النصوص تسعا وعشرين مرة، وهو رقم ليس اعتباطيا، وإنما هو رقم يكشف بوضوح عن مركزية هذا المفهوم داخل التجربة الشعرية للشاعر. فالموت عنده هو المحور الذي تدور حوله معظم القصائد، حتى حين لا يذكر بشكل مباشر.

هناك موت بطيء يتسلل إلى الروح، وموت آخر يصيب الأحلام والرغبات والعلاقات الإنسانية، لذلك يشعر القارئ أن الشاعر لا يكتب عن الموت القادم فقط، وإنما يكتب أيضا عن ذلك الموت الذي يسكن الحياة نفسها. لعل هذا ما يجعل قصائد الديوان قريبة من الفلسفات الوجودية التي رأت أن الإنسان يعيش داخل قلق دائم بسبب وعيه بالمصير المحتوم. فالإنسان وحده يعرف أنه سيموت، ولذلك يظل مطاردا بالخوف والأسئلة.

إن تكرار كلمة "الموت" داخل الديوان هو بناء دلالي مقصود. فكل تكرار يمنح المفردة معنى جديدا، ويجعلها تتخذ أشكالا متعددة. أحيانا يأتي الموت بوصفه حزنا شخصيا، وأحيانا باعتباره خرابا جماعيا، وأحيانا أخرى باعتباره شعورا بالعدم وفقدان المعنى.

هكذا يتحول الموت إلى عدسة ينظر الشاعر من خلالها إلى العالم كله. كما أن اللافت في هذه التجربة هو أن الحزن يتخذ أبعادا تأملية وفلسفية.

من جهة أخرى، فإن اللغة الشعرية داخل الديوان تنسجم مع هذا المناخ النفسي القاتم. فالصور الشعرية غالبا ما تميل إلى العتمة والفراغ والغياب والتأمل، كما أن الإيقاع الداخلي للنصوص يحمل نوعا من الانكسار والتوتر الصامت. كما أن تجربة علي أزحاف تتميز بقدرتها على تحويل التفاصيل البسيطة إلى أسئلة كبرى.

ولا يمكن الحديث عن هذا الديوان دون الإشارة إلى حضور العدم باعتباره خلفية فكرية واضحة داخل النصوص. فالكثير من القصائد توحي بأن الإنسان يعيش داخل عالم فقد معناه، وأن الأشياء لم تعد تمنح الطمأنينة كما في السابق.

صورة الموت

أغلب قصائد الديوان يحضر فيها الغياب والقلق ثم الموت. وسنركز في تحليل قصيدة واحدة، ومعبرة عن الموت بشكل كبير.

تأتي قصيدة "أسطورة الموت" ضمن ديوان "كأس وأكثر" للشاعر علي أزحاف باعتبارها أحد النصوص التي تكشف بوضوح الرؤية الشعرية التي يقوم عليها الديوان كله، وهي رؤية تجعل من الموت مركزا للتأمل الوجودي والإنساني. فالقصيدة تتحدث عن الموت باعتباره قوة خفية تمتد داخل تفاصيل الحياة اليومية، وتتحكم في مصير الإنسان والطبيعة معا.

ومن خلال لغة بسيطة وعميقة في الآن نفسه، يبني الشاعر صورة حزينة للعالم، حيث يتحول الشعر إلى محاولة لفهم الخراب الإنساني ومقاومة النسيان.

تبدأ القصيدة بعبارة شديدة الدلالة:

لأسطورة الموت
امتداد في مفاصل
حكايات الشعراء.

منذ البداية يربط الشاعر بين الموت والأسطورة، وكأن الموت ليس مجرد نهاية بيولوجية، بقدر ما هو قوة قديمة وأزلية تسكن الوعي الإنساني منذ القدم. فلفظة "أسطورة" تمنح الموت بعدا رمزيا وفلسفيا، وتجعله جزءا من الحكايات الكبرى التي رافقت الإنسان عبر التاريخ. كما أن عبارة "امتداد في مفاصل حكايات الشعراء" توحي بأن الشعر نفسه ظل دائما مرتبطا بالموت، وأن القصائد الكبرى ولدت غالبا من رحم الفقد والألم والغياب.

ويواصل الشاعر بناء هذه الرؤية من خلال صورة شعرية مؤثرة حين يقول:

كلما سقطت شجرة
رثوها بقصيدة.

هنا تتحول الشجرة إلى رمز للحياة والطبيعة والخصوبة، لكن سقوطها يحيل مباشرة إلى الفناء والانهيار. والشعراء، بدل أن يمنعوا هذا السقوط، لا يملكون سوى الرثاء والكتابة. وكأن القصيدة تصبح شهادة على الخسارة، أو محاولة أخيرة لحفظ ما يتلاشى.

إن الشاعر هنا يمنح للشعر وظيفة إنسانية عميقة، تتمثل في مقاومة النسيان وتخليد الأشياء بعد موتها. غير أن المفارقة المؤلمة داخل النص تظهر في المقطع الأخير:

حين يمتصهم
برد الشتاء،
يمدون أيديهم
نحو حطب النار
بحثا عن دفء
لأجسادهم المتعبة..
وينسون الشجرة.

في هذا المشهد ينتقل الشاعر من التأمل الرمزي إلى نقد الإنسان ذاته. فالشجرة التي رثاها الشعراء وتحولت إلى قصيدة، تصبح في النهاية مجرد حطب للنار، أي مجرد وسيلة مؤقتة للدفء والنجاة.

هنا تظهر المفارقة الكبرى، وهي أن الإنسان يبكي الأشياء الجميلة حين تفقد، لكنه سرعان ما ينسى قيمتها حين يتعلق الأمر بحاجاته الخاصة. إن الشاعر هنا يكشف عن طبيعة الإنسان المتناقضة؛ فهو كائن عاطفي يبكي الخراب، لكنه في الوقت نفسه يشارك فيه بشكل غير مباشر. ولذلك فإن عبارة "وينسون الشجرة" تحمل حمولة دلالية قوية، لأنها لا تشير فقط إلى نسيان الشجرة بوصفها كائنا طبيعيا، وإنما أيضا إلى نسيان الجمال والذاكرة والحياة نفسها. وتتميز القصيدة كذلك بلغتها المكثفة والبسيطة، حيث يعتمد الشاعر على صور واضحة لكنها عميقة الدلالة. فلا وجود لتراكيب معقدة أو زخارف لغوية مبالغ فيها، بل هناك اقتصاد لغوي يجعل كل كلمة تؤدي وظيفة رمزية داخل النص.

كما أن الإيقاع الهادئ للقصيدة ينسجم مع طبيعة التأمل الحزين الذي يهيمن عليها. ومن جهة أخرى، يمكن اعتبار القصيدة تعبيرا عن رؤية وجودية للعالم، حيث يصبح الإنسان كائنا منهكا يبحث فقط عن الدفء المؤقت وسط برد الحياة. لذلك فإن النار هنا ليست مجرد نار حقيقية، بقدر ما هي رمز لمحاولات الإنسان المستمرة للنجاة من القسوة والوحدة والخوف.

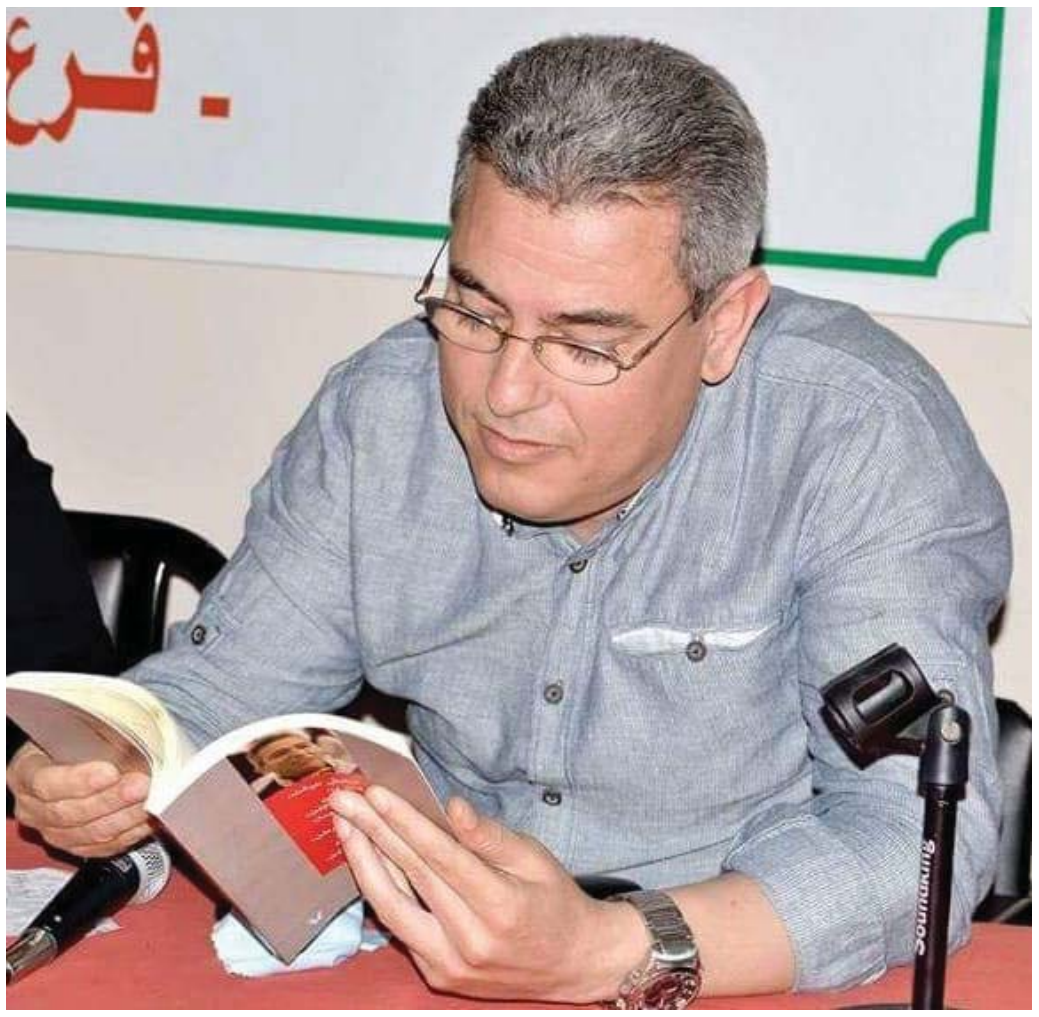

تجربة قائمة على التأمل الوجودي وكتابة الألم

«الأوديسة»: عندما يقايض كريستوفر نولان يقينه بمغامرة هوميروس

عبدالرحيم الشافعي
ناقد سينمائي مغربي

ثمة لحظات في مسيرة أي مخرج كبير يكفّ فيها عن اختيار مشاريعه بمنطق الحرفة المتراكمة، ليختار عوضا عن ذلك نصًا يعيد اختباره من جذوره. هذا بالضبط ما أقدم عليه كريستوفر نولان حين قرر، بعد النجاح الأكاديمي والجماهيري الكاسح لـ"أوبنهايمر"، أن يتوجه لا إلى مشروع علمي جديد أو إلى ملحمة من صنعه، وإنما إلى النص التأسيسي للسرد الغربي نفسه: "الأوديسة" لهوميروس.

القرار في حد ذاته مثير للفضول النقدي: مخرج اشتهر بتفكيك الزمن والذاكرة والفيزياء عبر بنى سردية شديدة التركيب، يختار الآن أن يصارع نصًا عمره يفوق ألفي عام، نصًا سبق أن تجنبه هو نفسه حين تخلى عن اقتباس "الإلياذة" لصالح "بداية باتمان". هذا التأجيل التاريخي بحد ذاته يمنح المشروع الحالي طبقة إضافية من التوتر: هل يعيد نولان إنتاج عدته البصرية والسردية المعتادة على مادة أسطورية غريبة عنها، أم أنه يجازف بإعادة اختراع نفسه؟ الإجابة، كما تكشفها تفاصيل الإنتاج والتسويق والاستقبال الأولي، تقع في منطقة وسطى مثيرة للجدل.

تعامل نولان مع نص هوميروس بوصفه مادة مقدسة يمكن تفكيكها دون خيانتها. اختياره للسرد غير الخطي لا يعتبر مفاجئا من مخرج بنى سمعته على تكسير التسلسل الزمني، لكنه هنا خيار له مبرر نصي وليس أسلوبيا محضا؛ فالأوديسة الأصلية نفسها تُروى عبر فلاش باك وحكايات متداخلة، وهذا يجعل الاختيار أقرب إلى وفاء بنيوي منه إلى بصمة مؤلف مفروضة على المادة. أما التعديلات التي أدخلها نولان، فهي محدودة لكنها دالة: توسيع حضور الكلب أرغوس، وتعميق العلاقة بين أوديسيوس وابنه تليماخوس، ومنح الساحرة سيرسي بعدا إنسانيا يجعلها مقلقة ومثيرة للتعاطف في آن، وتعقيد مشهد لمّ شمل هيلين بزوجها مينيلاوس.

وهذه الاختيارات تكشف عن عقل مقتبس فاحص؛ فهي تستهدف بالتحديد المواضع التي يميل فيها النص الأصلي إلى الاختزال العاطفي، وتعيد ملء فراغاتها بحساسية معاصرة دون أن تفرض عليها أخلاقيات ما بعد حداثية فجّة.

ويعتبر القرار الأكثر جرأة، والأكثر عرضة للنقاش، تعامل نولان مع الآلهة، رفضه تجسيدها مباشرة، واختياره تفسيرًا واقعيًا يربط تدخلاتها بظواهر طبيعية كانت تُفهم في زمن هوميروس بوصفها خارقة، هو امتداد منطقي لمشروعه الفكري القائم على "الواقعية الملموسة" الذي رأيناه في "إنترستيلر" و"تينيت". لكن هذا الخيار يحمل مخاطرة جوهرية: الأوديسة نص لا ينفصل جوهره عن حضور الإلهي المباشر والمتدخل، وأي تأويل عقلاني لهذا الحضور قد يُفرغ الملحمة من أحد أعمدتها الميتافيزيقية لصالح رؤية عالم أكثر انضباطًا وأقل سحرًا. والسؤال الذي سيحدد نجاح السيناريو فنيًا هو: هل نجح نولان في أن يجعل غياب الآلهة المرئي مصدرًا للرهبة، أم أنه استبدل عجائبية هوميروس بعقلانية نولانية باردة؟

وما يميز مقاربة نولان الإخراجية هنا هو إصراره على معالجة الأسطورة بأدوات الواقعية الوثائقية لا بأدوات الفانتازيا الاستعراضية. استلهامه المعلن من "أندريه روبليوف" لتاركوفسكي و"ران" لكوروساوا يكشف عن نية واضحة: تقديم عالم أسطوري يُصدّق بصريًا. وهذا الاختيار ينسجم مع تعامله مع مؤثرات راي هاريهاوزن كمرجعية طفولية، لكنه يستبدل الحيلة البصرية الصريحة لهاريهاوزن بمنطق تصوير ميداني صارم. فتصويره الفعلي في ست دول، بدءا من قرية آيت بن حدو المغربية التي جسدت طروادة، إلى الرمال السوداء الأيسلندية التي مثّلت العالم السفلي، وصولًا إلى استخدام سفينة فايكنغ حقيقية، هو تجسيد حرفي لفلسفته التي عبّر عنها مرارًا: أن "الطابع المادي للعالم الحقيقي" يمنح السرد ثقلًا لا يمكن لأي محاكاة رقمية أن توفره.

ويبقى الإنجاز التقني الأبرز كونه أول فيلم روائي يُصوّر بالكامل بكاميرات آيماكس السينمائية، وهو قرار يتجاوز كونه استعراضًا تقنيًا ليصبح بيانًا جماليًا: أن تُروى رحلة أوديسيوس البحرية بأقصى درجات الوضوح والاتساع البصري الممكنة، بما يضع المشاهد في قلب المحيط. غير أن هذا الطموح التقني يضع الفيلم أمام اختبار حقيقي: هل يخدم الاتساع البصري الهائل حميمية علاقة أوديسيوس بتليماخوس وبينيلوبي، أم يبتلعها في مشهدية الملحمة الكبرى؟ المخرج الذي أتقن توظيف الحجم الهائل لخدمة الدراما الفردية في "دانكيرك" يواجه هنا تحديًا مضاعفًا، إذ عليه أن يوازن بين حجم عشر سنوات من الرحلة الأسطورية وحجم بيت زوجي ينتظر عودة رجل واحد.

ما يميز مقاربة نولان هو إصراره على معالجة الأسطورة بأدوات الواقعية الوثائقية لا بأدوات الفانتازيا الاستعراضية

ويتبين أن اختيار مات ديمون لأداء أوديسيوس هو رهان على الذكاء الإستراتيجي عوض الهيبة البطولية، وهو ما يتسق مع القراءة التي استلهمها نولان من ترجمة إميلي ويلسون للملحمة، والتي أبرزت في أوديسيوس شخصية الداهية أكثر من كونها شخصية المحارب الأسطوري.

والاستعداد الجسدي الذي خاضه ديمون من التخسيس الصارم إلى إطلاق لحيته الحقيقية رفضًا لبديل صناعي يشي بنية واقعية جسدية تتماشى مع فلسفة الإنتاج ككل.

ولعل القرار الأكثر إثارة للجدل إسناد دور هيلين الطروادية إلى لوبيتا نيونغو، وهو اختيار أثار ردود فعل متباينة تراوحت بين اتهامه بتفريغ الشخصية من جذورها، والدفاع عنه بوصفه تحريرًا لهيلين من اختزالها التاريخي عوض كونها وجهًا جميلًا. والحجة النقدية الأكثر إنصافًا هنا هي أن الجدل حول هذا الاختيار كشف تناقضًا أعمق في النقاش حول الدقة التاريخية للفيلم ذاته: فبينما احتج البعض على غياب الطابع اليوناني عن اختيار الممثلين، مرّ اختيار اللهجة الأميركية المعاصرة، وهو مفارقة زمنية أكبر بكثير بجدل أخف حدة نسبيًا.

هذا التفاوت في حدة الاعتراضات يكشف أن جزءًا كبيرًا من النقاش لم يكن نقاشًا حول الأصالة بقدر ما كان نقاشًا حول الهوية والتمثيل، وهي تفرقة يستحق النقد السينمائي أن يعيها قبل أن يخلط بين الاثنين.

ويبدو اختيار توم هولاند لدور تليماخوس وآن هاثاواي لدور بينيلوبي أكثر اتساقًا مع منطق الفيلم الدرامي: علاقة أب غائب وابن يبحث عنه، وزوجة تصمد وحدها أمام حصار الخُطّاب، هي المحرك العاطفي الحقيقي للملحمة، وإسنادها لممثلين قادرين على حمل الثقل النفسي للانتظار والبحث يمنح الفيلم مرساة إنسانية وسط عاصفته الأسطورية. أما تشارليز ثيرون في دور كاليبسو وسامانثا مورتن في دور سيرسي، فيمثلان اختبارًا لقدرة الفيلم على تصوير الإغواء الأسطوري بوصفه تهديدا وجوديا لا مجرد عقبة سردية عابرة.

مشروع سينمائي ضخم

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

الذكاء الاصطناعي يمنح السيارات الكهربائية عيونا رقمية

تقنية تجريبية لنظام جيميني تحول المركبة إلى مساعد بصري قادر على قراءة الطريق في الوقت الفعلي

مع دخول تقنيات الذكاء الاصطناعي مرحلة جديدة تتجاوز المحادثات النصية والأوامر الصوتية، تعمل غوغل على إعادة تعريف العلاقة بين السائق والسيارة عبر اختبار نظام جيميني داخل السيارات الكهربائية، في خطوة قد تمثل واحدة من أكبر التحولات في أنظمة القيادة الذكية خلال السنوات المقبلة.

متعة عالية في القيادة مع التكنولوجيا

كاليفورنيا (الولايات المتحدة) - في عرض تقني أقيم بمقر غوغل في ماونتن فيو بولاية كاليفورنيا، استعرضت الشركة بالتعاون مع فولفو نموذجًا أوليًا يتيح للسيارة "رؤية" العالم الخارجي والإجابة عن أسئلة السائق.

وسيتم ذلك استنادًا إلى ما تلتقطه الكاميرا الأمامية في الزمن الحقيقي، وهو تطور ينقل المساعدات الذكية من مرحلة الاستماع إلى مرحلة الفهم البصري للبيئة المحيطة.

وأثبت العرض التجريبي أن الذكاء الاصطناعي قادر بالفعل على منح السيارات "عينًا رقمية" تفهم الطريق وتفسر ما يحدث خارجه.

ولكن النجاح التجاري لهذه الفكرة لن يتحدد بقدراتها التقنية وحدها، بل بمدى اقتناع السائقين بأن هذه العين موجودة لمساعدتهم، لا لمراقبتهم.

> العرض التجريبي أظهر أن النظام يعكس تطورا في قدرة الذكاء الاصطناعي على فهم البيئة المحيطة وليس التقاط الصور

ويشير هذا التطور إلى توجه جديد في صناعة السيارات، حيث لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد وسيلة لتشغيل الموسيقى أو إدارة المكالمات أو التحقق من المواعيد، بل أصبح قادرًا على تحليل المشهد أمام السيارة وتقديم معلومات فورية تساعد السائق أثناء القيادة، دون الحاجة إلى استخدام الهاتف المحمول.

واعتمد العرض الذي قدمته غوغل على سيارة فولفو إي.إكس 60 الكهربائية، التي أزاحت الستار عنه الشركة السويدية في يناير الماضي، حيث ظهرت لافتة طريق باللغة البرتغالية أثناء القيادة.

وبدلاً من أن يلتقط السائق هاتفه لترجمتها، اكتفى بسؤال السيارة عن مضمونها، ليقوم نظام جيميني بقراءة اللافتة والإجابة مباشرة.

ولم يقتصر الأمر على ترجمة النصوص، إذ تمكن النظام من التعرف على معالم حقيقية ظهرت أمام السيارة، من بينها العمل الفني المعروف باسم "الكرة"، والسقف الشمسي لمبنى "المظلة المتدرجة"، إضافة إلى مدرج "شورلاين"، مقدّمًا معلومات دقيقة عنها بطريقة حوارية وطبيعية.

وبحسب منصة "غادجيت ريفيو"، يبرز في العرض أن النظام لم يكتف بالإشارة إلى وجود مبانٍ أو معالم، بل قدم أسماءها وسياقها، بما يعكس تطورًا في قدرة الذكاء الاصطناعي على فهم البيئة المحيطة وليس مجرد التقاط الصور.

ولطالما اعتمدت أنظمة المساعدة داخل السيارات على الأوامر الصوتية، حيث تقتصر وظائفها غالبًا على التحكم في الملاحة، وتشغيل الوسائط، والرد على الاتصالات، أو إدارة بعض وظائف السيارة.

أما مع نظام جيميني، فإن غوغل تسعى إلى إدخال مفهوم جديد يمكن وصفه بـ"الذكاء الاصطناعي المرئي"، إذ يصبح النظام قادرًا على رؤية ما يراه السائق والإجابة عن أسئلة مرتبطة بالمشهد الخارجي.

ويمثل ذلك تحولًا نوعيًا في تجربة القيادة، خصوصًا في البيئات غير المألوفة، إذ يمكن للنظام تفسير إشارات المرور بلغات أجنبية، أو التعرف على المباني والمعالم السياحية، أو تقديم معلومات عن الأماكن المحيطة دون أن يضطر السائق إلى تشتيت انتباهه أو استخدام هاتفه.

ورغم الإمكانات الكبيرة التي يحملها النظام، فإن غوغل حرصت خلال العرض على التأكيد أن تشغيل الكاميرا لا يتم بشكل دائم، بل يُفعّل فقط عندما يطرح السائق سؤالًا يتطلب تحليل المشهد الخارجي.

ووفق الشركة، يبدأ بث الكاميرا عند تلقي السؤال، ثم يتوقف مباشرة بعد تقديم الإجابة، في محاولة لتقليل المخاوف المتعلقة بالمراقبة المستمرة أو جمع البيانات البصرية دون علم المستخدم.

كما تؤكد غوغل أن استخدام الميزة يعتمد بالكامل على موافقة السائق، وهو ما تصفه بأنه نموذج قائم على "الإذن المسبق" وليس على التسجيل الدائم.

وهذه الضمانات لا تبدد جميع المخاوف، خاصة أن الشركة واجهت خلال السنوات الماضية تدقيقًا تنظيميًا في عدد من الأسواق بشأن سياسات جمع البيانات واستخدامها، ما يجعل ملف الخصوصية عاملاً حاسمًا في قبول المستخدمين لهذه التقنية عند طرحها تجاريًا.

ويرى خبراء القطاع أن نجاح النظام لن يعتمد فقط على دقة الذكاء الاصطناعي، وإنما أيضًا على قدرة الشركات المطورة على إقناع المستخدمين بأن الكاميرا لا تتحول إلى أداة مراقبة دائمة داخل السيارة.

ولا تبدو هذه التقنية مشروعًا منفصلًا، بل تأتي ضمن إستراتيجية غوغل لتوسيع حضور جيميني داخل منظومة أندرويد أوتو وأنظمة السيارات الذكية.

ويشير العرض التجريبي إلى أن الشركة تعمل على دمج الذكاء الاصطناعي في مختلف جوانب تجربة القيادة، بحيث يصبح المساعد الرقمي أكثر فهمًا للسياق الذي يتحرك فيه السائق، وليس مجرد منفذ للأوامر الصوتية.

ويعتبر كثير من المحللين أن ما قدمته غوغل يمثل معاينة مبكرة لخارطة الطريق المستقبلية، أكثر منه منتجًا جاهزًا للإطلاق، خصوصًا أن الشركة لم تحدد موعدًا رسميًا لطرح الميزة، كما لم تؤكد إدراجها في النسخة الإنتاجية من السيارة.

واختارت غوغل سيارة فولفو إي.إكس 60 لتكون منصة اختبار لهذه التقنية، وهي سيارة كهربائية مرتقبة تعوّل عليها الشركة السويدية لتعزيز حضورها في سوق المركبات الذكية.

وتتميز السيارة بمواصفات تقنية لافتة، أبرزها مدى قيادة يصل إلى نحو 810 كيلومترات وفق تقديرات الشركة، إضافة إلى دعم الشحن السريع بقدرة 400 كيلوواط، ما يسمح بإضافة نحو 340 كيلومترًا من المدى خلال عشر دقائق فقط.

وتصف فولفو السيارة بأنها الأكثر ذكاءً في تاريخها، غير أن ميزة جيميني البصرية لا تزال ضمن مرحلة العرض التوضيحي، ولم تؤكد الشركة اعتمادها في النسخة النهائية المخصصة للبيع.

> غوغل اختارت سيارة فولفو إي.إكس 60 موديل 2026 لتكون منصة اختبار، وهي سيارة كهربائية تتميز بمواصفات تقنية لافتة

وتكمن القيمة الحقيقية لهذه التقنية في قدرتها على حل مشكلات يومية تواجه السائقين، خصوصًا أثناء السفر إلى دول أجنبية أو القيادة في أماكن غير مألوفة.

وبفضل هذه التكنولوجيا يصبح بإمكان السيارة قراءة اللافتات، وشرح الإشارات، والتعرف على المعالم، وتقديم المعلومات في الوقت المناسب، وكل ذلك دون أن يرفع السائق يده عن المقود.

لكن في المقابل، فإن إدخال الكاميرا والذكاء الاصطناعي إلى قلب تجربة القيادة يفتح بابًا واسعًا للنقاش حول حماية الخصوصية، وآليات حفظ البيانات، وحدود استخدام الصور والمشاهد التي تلتقطها السيارة.

ومن هنا، تبدو المعادلة التي تواجه غوغل واضحة؛ فكلما ازدادت قدرة السيارة على فهم العالم المحيط، ازدادت الحاجة إلى بناء منظومة شفافة تكسب ثقة المستخدمين.

رولز رويس تبهر عشاقها بفانتوم ريغاتا المستوحاة من يخوت السباق

كرو (بريطانيا) - قدمت رولز رويس فانتوم ريغاتا، وهي سيارة فريدة من نوعها، صممها خصيصا قسم التخصيصات لدى الشركة البريطانية، مستوحاة من يخوت السباق على الساحل الجنوبي لإنجلترا، ومن فعاليات الإبحار المرموقة التي تُميز موسم الصيف في سولنت.

وستُعرض هذه السيارة الفريدة لأول مرة للجمهور في مهرجان غودوود للسرعة 2026، على بُعد خطوات من الساحل الذي استلهم منه تصميمها، بحسب مجلة "فوربس".

ومن غودوود إستيت، تمتد الإطلالات الخلابة نحو ميناء تشيتشستر وسولنت، موطن سباقات الإبحار الشهيرة، بما في ذلك أسبوع كاوس التاريخي.

وتحظى هذه المنطقة بأهمية خاصة لدى رولز رويس، إذ أمضى السير هنري رويس، أحد مؤسسي الشركة، معظم سنواته الأخيرة في إلمستيد، الواقعة في ويست ويترينغ المجاورة، على بُعد ثمانية أميال فقط من مقر رولز رويس.

وتستحضر فانتوم ريغاتا على الفور أناقة اليخوت الشراعية الكلاسيكية بفضل طلائها المميز ثنائي اللون. فالجزء العلوي مطلي بلون ريغاتا الأزرق، وهو لون بحري غني، بينما الجزء السفلي مطلي باللون الأبيض الإنجليزي.

ويعكس خط الفصل المرسوم يدويًا نقطة التقاء هيكل اليخت بالماء، مما يخلق لمسة بحرية رقيقة دون أن يطغى على التصميم.

وتكتمل روعة التصميم الخارجي بعجلات قرصية مصقولة قياس 22 بوصة، صُممت أسطحها العاكسة لتُذكّر بالرافعات الفولاذية اللامعة الموجودة على متن يخوت السباق.

ويُكمل التصميم الداخلي الطابع البحري بألوان مستوحاة من يخت مُبحر بأشرعته. ويُغطي الجلد الأزرق الداكن المقصورة الأمامية، مُرمزًا إلى أعماق المياه الساحلية.

وفي الوقت نفسه، تم تشطيب مقصورة الركاب الخلفية باللون الأبيض الناصع، مُعكسًا نقاء قماش الشراع ورغوة الماء المُتولدة خلف القارب.

وتجمع التفاصيل، بما في ذلك الخياطة المُتباينة وحواف المقاعد وعجلة القيادة، بين اللونين، بينما تظهر شعارات "آر.آر" المطرزة باللون الفيروزي النابض بالحياة، والذي تم اختياره ليعكس المياه الضحلة على طول الساحل الإنجليزي.

وتُبرز المقصورة أيضا مزيجا متقنا من قشرة خشب بيانو ميلوري وخشب الجوز الملكي ذي المسام المفتوحة.

وتضفي اللمسات النهائية الساتينية على قسم الشلال والأبواب الخلفية وطاولات النزهة، على الأعمال الخشبية، مستوى الحرفية العالية التي تُتوقع من قسم رولز رويس للتصميم حسب الطلب.

واستغرقت صناعة طاولات النزهة وحدها حوالي 120 ساعة. وصُممت كل طاولة لتُحاكي سطح يخت فاخر، وتتميز بـ16 لوحًا من خشب الجوز الملكي، مصنوعة يدويًا من نفس قطعة الخشب للحفاظ على تناسق نسيجها.

> السيارة تحتفي بتراث بريطانيا العريق في رياضة الإبحار، وتكتمل روعة التصميم الخارجي بعجلات قرصية مصقولة

وقد وُضع كل لوح بعناية فائقة من المركز إلى الخارج لتكوين نمط متماثل، بينما تُحاكي شرائح خشب البوليفار الأسود مظهر مواد السد التقليدية للسطح.

ومن أبرز سمات سيارة فانتوم ريجاتا لوحة فنية مرسومة يدويًا تمتد على عرض لوحة القيادة. تُعرف هذه اللوحة باسم "ألوان مائية"، وقد أبدعها فنان من رولز رويس باستخدام ألوان مُطورة خصيصًا، طُبقت مباشرةً على سطح خشبي ذي مسام مفتوحة.

ولإعادة تجسيد الحركة المتغيرة للأمواج، طوّر الفنان تقنية مزج جديدة على مدار أسبوعين، مجربًا تركيبات طلاء متعددة وطرق تطبيق متنوعة قبل الوصول إلى التأثير المطلوب.

وفوق المقصورة، تتميز بطانة السقف المرصعة بالنجوم بـ1307 مصابيح من الألياف الضوئية موزعة بشكل فردي لتمثيل تيارات المد والجزر المتدفقة حول جزيرة وايت. وتُضفي الأبواب المضيئة مزيدًا من البهجة على أجواء المقصورة بعد حلول الظلام.

ومن بين أبرز ميزات هذه السيارة، إحداثيات جغرافية محفورة مخفية داخل فتحات تهوية لوحة القيادة. وتظهر هذه الإحداثيات فقط عند إمالة فتحات التهوية للأمام، حيث تعرض فتحة التهوية في جانب الراكب إحداثيات منزل جودوود، بينما تشير فتحة التهوية في جانب السائق إلى موطن رولز رويس.

ويفصل بين الموقعين أقل من ميل، ويربطان سيارة فانتوم ريغاتا بهدوء بالمكان الذي صُممت فيه وصُنعت فيه يدويًا.

وكما هو الحال مع العديد من سيارات رولز رويس المصممة حسب الطلب، تحمل أدق التفاصيل أسمى المعاني.

وبدلاً من الاعتماد على الزخارف البحرية التقليدية، تُجسد فانتوم ريغاتا تراث الإبحار البريطاني من خلال الحرفية العالية، واختيار المواد بعناية، ولمسات التصميم الدقيقة، لتُقدم بذلك تعبيرًا شخصيًا فريدًا عن سيارة رولز رويس فانتوم إكستندد.

الأرجنتين وإنجلترا مواجهة تجمع بين الصراع البدني والأفكار التكتيكية

عازفو التانغو يتطلعون إلى خوض النهائي المونديالي الثاني تواليا

تتجه الأنظار إلى ملعب أتلانتا بالولايات المتحدة حيث القمة المرتقبة بين الأرجنتين وإنجلترا لحساب الدور نصف النهائي لكأس العالم 2026، وسط عزم إنجليزي على بلوغ النهائي وتطلع أرجنتيني إلى تحقيق النهائي الثاني تواليا والمحافظة على اللقب العالمي.

لياقة بدنية رهيبة

نيويورك - يواجه المنتخب الأرجنتيني نظيره الإنجليزي مساء اليوم الأربعاء، والأمل يحدوه في بلوغ المباراة النهائية والنسج على منوال إنجاز 2022 بقطر والتتويج باللقب الثاني تواليا، بينما يجد هاري كين ورفاقه أنفسهم أمام فرصة تاريخية لخوض النهائي بعد فترة طويلة من الغياب على منصات التتويج.

وخلال المونديال المقام حاليا في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، تعرض المنتخبان للعديد من الاختبارات الصعبة، التي كشفت عن مدى استعداداتهما البدنية وصلابتهما الذهنية قبل أن يلتقيا.

وقبل المباراة المنتظرة، التي تقام في ملعب أتلانتا، ألقى الموقع الإلكتروني الرسمي للاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) الضوء على المعارك التي خاضها كلا المنتخبين في الأدوار الإقصائية بالنسخة الحالية لكأس العالم.

وفي أكبر نسخة للمونديال على الإطلاق، في ظل إقامتها بمشاركة 48 منتخبا للمرة الأولى، وجد المنتخبان العريقان صعوبة بالغة في التغلب على المنتخبات الأقل حظا، أكثر مما توقعه الكثيرون.

واضطر منتخب إنجلترا إلى بذل الكثير من الجهد للتغلب على منتخب الكونغو الديمقراطية في دور الـ32، والمكسيك في دور الـ16، والنرويج في دور الثمانية.

في الوقت نفسه، تمكن منتخب الأرجنتين من تحويل مواجهاته ضد الرأس الأخضر (كاب فيردي) ومصر وسويسرا إلى تجارب مرعبة لجماهيره، حيث صمد أمام الوقت الإضافي وفترات الضغط المتواصلة، حتى إن مسيرته الدرامية ألهمت صورة ساخرة في الأرجنتين تصور مباراة قبل النهائي كاختبار حقيقي آخر لأعصاب المشجعين.

ولخص رودريغو دي بول، لاعب وسط منتخب الأرجنتين، البطولة التي عوقبت فيها المنتخبات التي دفعت ثمن تراخيها في الكثير من الأحيان، قائلا "كانت هذه النسخة من كأس العالم مليئة بالمفاجآت، حيث خرجت العديد من المنتخبات المرشحة للفوز مبكرا. ينبغي عليك أن تقاتل حتى النهاية".

> اللاعب الأرجنتيني رودريغو دي بول يؤكد أن هذه النسخة مليئة بالمفاجآت، حيث خرجت أبرز المنتخبات المرشحة للفوز مبكرا

ورغم أوجه التشابه بين رحلتي المنتخبين الدرامية، لم يقلل أي من المدربين من شأن الصعوبات التي واجهاها، فبعد فوزهما في دور الثمانية، انتقد كل من الألماني توماس توخيل، مدرب إنجلترا ونظيره الأرجنتيني ليونيل سكالوني أداء فريقيهما.

وقدم سكالوني تقييما صريحا بعد فوز الأرجنتين 3 – 1 على سويسرا، بعد اللجوء إلى الوقت الإضافي في دور الثمانية، حيث قال "لقد عانينا. كنا نعلم أنها ستكون مباراة صعبة، وفي بعض الأحيان لم نتمكن من التعامل مع المواقف التي وضعونا فيها. لكن الحظ حالفنا. ينبغي علينا أن نكون واقعيين. هناك جوانب نحتاج إلى تحسينها".

وأبدى توخيل تحذيرا مماثلا بعد فوز إنجلترا الصعب على النرويج في الوقت الإضافي، مؤكدا على ضرورة رفع مستوى فريقه إذا أراد التتويج بكأس العالم للمرة الأولى منذ 60 عاما.

واعترف مدرب إنجلترا قائلا "النتيجة رائعة، لكنني لست راضياً عن الأداء. لقد صعبنا الأمور على أنفسنا كثيراً بطريقة لعبنا. هناك تهاون، أخطاء فنية كثيرة، لم نكن بالسرعة الكافية، ولم نكن نتحلى بالشراسة الكافية. لقد حالفنا الحظ اليوم".

في المقابل، اختار هاري كين النظر إلى الجانب المشرق، حيث علق قائد منتخب إنجلترا قائلا "إذا كنا في قبل نهائي كأس العالم ونعلم أن بإمكاننا التحسن والوصول إلى مستوى أعلى، فعلينا أن نعتبر ذلك دافعا إيجابيا".

ومع ذلك، أظهر منتخبا إنجلترا والأرجنتين قدرة رائعة على استيعاب الفوضى والارتقاء إلى مستوى التحدي تحت الضغط، وكانت المشاعر التي رافقت مسيرة كل منهما واضحة للجميع.

من غناء الإنجليز أغنية "واندر وال" الشهيرة لفرقة أواسيس مع جماهيرهم بعد كل فوز، إلى دموع ليونيل ميسي بعد فوز الأرجنتين على مصر في دور الـ16، هذا المزيج من العاطفة والصمود يجعل من الصعب التنبؤ بنتيجة هذه المباراة في قبل النهائي.

ويجسد جود بيلينغهام مزيج إنجلترا من الروح القتالية والصمود والمهارة الفنية، حيث قال "الأمر صعب للغاية، إنه تحد كبير. امتلاك المهارة أمر مهم، وهو ما يمتلكه جميع اللاعبين في هذا الفريق، لكنك لا تعرف مدى عزيمتهم وإصرارهم إلا عندما نكون في موقف كهذا".

أكد بيلينغهام، الذي أحرز هدفي إنجلترا خلال فوزها 2 – 1 على النرويج في دور الثمانية، "تنقسم اللعبة إلى جوانب عديدة، بعضها فني أو تكتيكي، لكن بالنسبة لي، الجانب الأهم هو الجانب النفسي. كيفية التعامل مع النكسات والمصاعب. لقد أثبت هذا الفريق مرة أخرى أنه قادر على ذلك".

هذه القدرة نفسها على التألق تحت الضغط الشديد تسري في عروق منتخب الأرجنتين، ويتجسد ذلك في ميسي (39 عاما) والذي رغم فوزه بكل شيء، لا يزال يتمتع بنفس الحماس.

مانشستر سيتي الإنجليزي يرغب في ضم المغربي بوعدي

لندن - يبذل نادي مانشستر سيتي الإنجليزي لكرة القدم جهودا حثيثة لضم المغربي أيوب بوعدي، لاعب خط وسط ليل الفرنسي الشاب، حسبما أفاد تقرير إخباري، الثلاثاء.

وتأتي رغبة مانشستر سيتي في التعاقد مع بوعدي بعد تألق اللاعب اللافت في بطولة كأس العالم 2026، المقامة حاليا في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، حيث يسعى الفريق السماوي لتعزيز خيارات خط الوسط لديه للموسم المقبل.

وكشف الموقع الإلكتروني الرسمي لصحيفة "ذا أتلتيك" البريطانية، أن الظهور اللافت لبوعدي (18 عاما) في المونديال الحالي، أثار اهتمام العديد من الأندية الأوروبية الكبرى الراغبة في ضمه، فيما تبدو إدارة ليل منفتحة على فكرة التخلي عن نجمها، شريطة أن يتقدم أحد الأندية بعرض يلبي مطالبها المالية في المستقبل القريب.

وأضاف التقرير أن ليل ينتظر عودة بوعدي من إجازته بعد انتهاء مشاركته في كأس العالم، قبل إجراء محادثات مع وكلاء أعماله لتقييم جميع الخيارات، بما في ذلك إمكانية بقائه.

وبينما لا يزال ليل منفتحا على المفاوضات، يعتقد أنه حدد سعرا باهظا يبلغ 100 مليون يورو (85 مليون جنيه إسترليني) للاعب الشاب، بحسب التقرير، وهو مبلغ من المتوقع أن يبعد العديد من الأندية الراغبة في ضمه.

وعلى عكس الأندية المنافسة التي تبدي استعدادها لاستعارته، يفضل مانشستر سيتي دمج لاعب الوسط مباشرة في تشكيلة الفريق الأول هذا الصيف، وفقا لـ"ذا أتلتيك".

وينبع اهتمام مانشستر سيتي ببوعدي من حاجته الملحة إلى تعزيز خط وسطه بعد رحيل البرتغالي برناردو سيلفا مؤخرا، وقد أنفق عملاق الدوري الإنجليزي الممتاز بالفعل 116 مليون جنيه إسترليني لضم إليوت أندرسون من نوتنغهام فورست، مما عزز خياراته في خط الوسط.

ومع اقتراب انتهاء عقد الإسباني رودري الحالي في يونيو 2027، والغموض الذي يحيط بمستقبل العديد من الركائز الأساسية الأخرى، ينظر إلى ضم بوعدي كاستثمار طويل الأجل.

من المتوقع أن يتخذ بوعدي قراره النهائي بشأن مستقبله قريبًا، في ظل تزايد اهتمام الأندية الكبرى به. ورغم تواصل كل من أرسنال ومانشستر يونايتد الإنجليزيين مع وكلاء لاعب الوسط خلال العام الماضي، فإن مانشستر سيتي يتصدر حاليا سباق التعاقد معه حاليا.

> رغبة مانشستر سيتي في التعاقد مع أيوب بوعدي تأتي بعد تألق اللاعب اللافت في بطولة كأس العالم 2026

ويكمن التحدي الأكبر أمام هذا اللاعب الشاب في تحديد ما إذا كان مستعدا للمنافسة الفورية على مركز أساسي في ملعب "الاتحاد"، أم سيختار مواصلة تطوير مهاراته في الدوري الفرنسي.

ويعتبر أيوب بوعدي لاعب وسط موهوبا، كان له دور محوري في مسيرة المغرب نحو الصعود إلى دور الثمانية، ويتجلى ذكاء بوعدي داخل الملعب وخارجه، إذ فاز هذا الشاب، بمسابقة الخطابة وهو في الخامسة عشرة من عمره، وأكمل دراسته الثانوية في السادسة عشرة، ويدرس حاليا للحصول على شهادة جامعية في الرياضيات، وهو ذكاء ينعكس في هدوئه الذي يضفيه على خط وسط منتخب "أسود الأطلس".

مقترح إنفانتينو يمنح الهند والصين أمل المشاركة في بطولة كأس العالم

برلين - تأهلت منتخبات فرنسا والأرجنتين وإسبانيا وإنجلترا، التي تتواجد في المراكز الأربعة الأولى بتصنيف الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) للمنتخبات، إلى الدور نصف النهائي في بطولة كأس العالم 2026، لكن هناك العديد من الدول ذات الكثافة السكانية الأعلى في العالم، لم تتأهل إلى المونديال بعد.

ومع احتمال زيادة عدد المنتخبات المشاركة في كأس العالم إلى 64 فريقا، ربما يصبح بإمكان دول كبيرة أخرى أن تحلم بالمشاركة في نسخ مستقبلية من المونديال.

وتعتبر الهند والصين أكبر دولتين من حيث عدد السكان في العالم، ويعد الكثير من سكانهما البالغ عددهم 2.89 مليار نسمة من عشاق كرة القدم، ومع ذلك يغيب منتخباهما بشكل ملحوظ عن التواجد في بطولة كأس العالم، التي أصبحت تضم الآن 48 منتخبا لأول مرة في النسخة الحالية هذا العام بالولايات المتحدة والمكسيك وكندا.

وتأهلت الصين مرة واحدة فقط لبطولة كأس العالم، خلال نسخة عام 2002 بكوريا الجنوبية واليابان، وودعت المسابقة مبكرا من دور المجموعات، حيث خسرت جميع مبارياتها الثلاث دون أن تسجل أي هدف.

وعلى الرغم من استثمار مبالغ طائلة في تطوير كرة القدم، فإن الدوري الصيني لم يحقق أي تقدم يذكر.

أما الهند، المولعة برياضتي الكريكيت والهوكي، فلم تتأهل قط إلى بطولة كأس العالم للرجال.

ولا يترجم عدد السكان بالضرورة إلى نجاح كروي، لكن السويسري جياني إنفانتينو، رئيس فيفا، منحهم بعض الأمل في التأهل إلى نسخة 2030 أو 2034، مشيرا إلى ضرورة النظر في زيادة عدد الفرق إلى 64 منتخبا.

وقال إنفانتينو لموقع "بلو سبورت" السويسري السبت الماضي "يجب أن يتم السماح للعالم أجمع بأن يحلم بكأس العالم، وليس فقط أوروبا وأميركا الجنوبية".

وتم توسيع بطولة كأس العالم مؤخرا لتضم 48 فريقا في هذه النسخة، لكن وصول منتخب الرأس الأخضر، المشارك لأول مرة، إلى الأدوار الإقصائية وتهديده لمنتخب الأرجنتين (حامل اللقب)، بالإضافة إلى الظهور اللافت لمنتخب الكونغو الديمقراطية في مشاركته الثانية فقط بالمونديال، ساهما في تفنيد الادعاءات بأن هذه المنتخبات الإضافية ليست منافسة.

وباستثناء الولايات المتحدة والبرازيل، فإن ثماني من أكثر 10 دول اكتظاظا بالسكان في العالم ليست مشاركة في بطولة كأس العالم، ولكن قد تنضم إليها قريبا.

وفي الهند، الدولة الأكثر اكتظاظا بالسكان في العالم، تعتبر الكريكيت هي الرياضة الشعبية الأولى بلا منازع، وتستحوذ نجاحات المنتخب الوطني ودوري الكريكيت الهندي الممتاز، الذي تبلغ قيمته مليارات الدولارات، على المواهب والأموال والاهتمام، مما يضر بكرة القدم.

ومن الأسباب الرئيسية الأخرى التي تم ذكرها لقلة نجاح كرة القدم، رغم شعبيتها في الهند، ضعف البنية التحتية، وعدم كفاية تنمية المواهب، والمناخ القاسي.

> الهند والصين تعتبران أكبر دولتين من حيث عدد السكان في العالم، ومع ذلك يغيب منتخباهما عن التواجد في المونديال

وتسعى الهند للحاق بركب كرة القدم، فمنذ انطلاق الدوري الهندي الممتاز عام 2014، سعت البلاد لتطوير كرة القدم احترافيا، بدعم من استثمارات قطاع الأعمال والترفيه.

لكن الطريق إلى بطولة كأس العالم لا يزال طويلا بالنسبة إليها، فقد خرجت الهند من الدور التمهيدي الثاني للتصفيات الآسيوية المؤهلة لبطولة كأس العالم عام 2026، حيث جاءت في المركز الثالث بمجموعتها خلف منتخبي قطر والكويت.

وفشلت الصين مجدداً في التأهل إلى بطولة كأس العالم، ويحتل المنتخب الصيني الآن المركز 91 في تصنيف فيفا العالمي.

ويعد الرئيس شي جينبينغ، كغيره من الصينيين، من عشاق كرة القدم، وقد وضع نصب عينيه هدف جعل بلاده دولة رائدة في هذه الرياضة، إلا أن كرة القدم الصينية لم تتصدر عناوين الأخبار حتى الآن إلا بسبب قضايا التلاعب بنتائج المباريات والفساد.

ويرى المراقبون مشكلة هيكلية، إذ لا تستطيع الأندية والبطولات التطور بشكل مستقل في الصين، حيث بنى الحزب الشيوعي شبكة معقدة من العقبات البيروقراطية والضوابط على مدى عقود.

ورغم ذلك يبقى الأمل قائما، فمنتخب الصين للسيدات يحقق نتائج أفضل، ويحتل المركز الـ16 في تصنيف فيفا العالمي.

ويعد الاهتمام بكرة القدم ملحوظا في باكستان (يبلغ عدد سكانها أكثر من 255 مليون نسمة)، حيث يرتدي العديد من المشجعين قمصان الأرجنتيني ليونيل ميسي، ويطلق على حي لياري في مدينة كراتشي الساحلية اسم "البرازيل المصغرة" نظرا لتحمس سكانها الشديد للفريق الأميركي الجنوبي.

لكن البنية التحتية الرياضية في البلاد مهيأة لرياضة الكريكيت، التي دخلت البلاد خلال فترة الاستعمار البريطاني، ومع ذلك تُبذل جهود حثيثة منذ زمن طويل لإنشاء دوري كرة قدم احترافي في باكستان.

وتعرقل النزاعات، وقلة التمويل المخصص لبرامج الشباب، ونقص الملاعب الجيدة على مستوى البلاد، عملية التنمية في البلاد.

قد يتم التوجه نحو توسيع قائمة كأس العالم

العرب
الأربعاء 2026/07/15
السنة 49 العدد 13861

أوتار غزة تروي أمل الحياة

رغم أجواء الحرب والدمار يواصل أطفال غزة تعلم الموسيقى والعزف داخل معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى، في محاولة لاستعادة الأمل وتخفيف آثار الصدمات النفسية. وتحولت الآلات الموسيقية إلى مساحة للتعبير والفرح، تؤكد أن الفن يظل حاضرا كرسالة للحياة والصمود.

مقاومة من نوع آخر

غزة (فلسطين) - داخل إحدى القاعات في مقر كلية غزة بمدينة غزة، علت أصوات الكمان والعود والغيتار، بينما انشغل عشرات الأطفال بالعزف والتدريب في مشهد يعكس محاولة لاستعادة جانب من الحياة الطبيعية، رغم استمرار الحرب الإسرائيلية وتداعياتها النفسية والاجتماعية.

ونظم معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى الفعالية ضمن سلسلة من البرامج الموسيقية التي ينفذها في مدينة غزة وقرية الزوايدة وسط القطاع، بهدف مواصلة التعليم الموسيقي وتوفير الدعم النفسي للأطفال المتضررين من الحرب.

ويقول منسق الأنشطة ومدرس الموسيقى في المعهد فؤاد خضر، لوكالة أنباء شينخوا، إن هذه الأنشطة تأتي في إطار جهود المعهد لمواصلة برامجه الموجهة للأطفال رغم الظروف الراهنة.

ويضيف أن الموسيقى توفر للأطفال مساحة للتعبير عن أنفسهم، وتساعدهم على التخفيف من الضغوط النفسية واستعادة جانب من حياتهم الطبيعية، مشيرا إلى أن المعهد واصل أنشطته خلال فترات النزوح في الزوايدة، قبل استئنافها في مقر كلية غزة مع توفر الإمكانات.

ويوضح خضر أن الإقبال على الأنشطة الموسيقية يعكس حاجة الأطفال إلى مساحات للتعبير عن مشاعرهم والتفاعل مع أقرانهم بعد أشهر من النزوح والانقطاع عن الكثير من الأنشطة التعليمية والثقافية.

في المقابل يؤكد أن استمرار البرامج الموسيقية يواجه تحديات كبيرة، أبرزها النزوح المتكرر وتدمير مقر المعهد، قائلا إنه اضطر إلى النزوح أكثر من 25 مرة، وهو ما تسبب في تشتت البرنامج وصعوبة التواصل مع الطلبة، قبل إعادة استئناف الدروس كلما سمحت الظروف.

ويشير إلى أن تدمير مقر المعهد أدى أيضا إلى فقدان عدد كبير من الآلات الموسيقية، ما شكل تحديا إضافيا أمام استمرار العملية التعليمية.

من جانبه يقول مدرس آلة الغيتار في المعهد أحمد أبوعمشة إن الموسيقى تحولت خلال الحرب من نشاط فني إلى وسيلة للدعم النفسي للأطفال الذين تعرضوا لصدمات متكررة.

ويضيف أن العديد من الأطفال لم يكونوا يتحدثون أو يتفاعلون مع المجتمع بسبب ما مروا به، إلا أن مشاركتهم في جلسات العزف والعلاج بالموسيقى أسهمت تدريجيا في تحسن حالتهم النفسية، بعد معاناتهم من آثار مشاهد القصف والدمار.

ويرى أبوعمشة أن الموسيقى لم تساعد الأطفال فحسب، بل خففت أيضا الضغوط النفسية التي يعيشها المدرسون، مضيفا "منذ اللحظة الأولى التي عدت فيها إلى عزف الموسيقى أثناء الحرب، نسيت للحظات كل ما نمر به".

ويعتبر أن الفن يمثل رسالة للحياة في ظل الظروف الراهنة، قائلا "نحن لا نزال على قيد الحياة، ولا نزال نعزف ونغني، ولا يزال هناك أمل".

وكان الجيش الإسرائيلي قد قصف في الأيام الأولى من الحرب في أكتوبر 2023 المقر الرئيسي لمعهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى في مدينة غزة، الواقع في الطابق الأرضي من مبنى الإسعاف التابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في حي تل الهوى، ما أدى إلى تدمير المقر وعدد من الآلات الموسيقية. ورغم ذلك يؤكد أبوعمشة أن المدرسين واصلوا الأنشطة التعليمية كلما توفرت الإمكانات، مضيفا "كل ما كنا نفكر فيه هو إسعاد الأطفال ورسم الابتسامة على وجوههم، فنحن نعالج الأطفال بالموسيقى ونعالج أنفسنا أيضا".

وتقول الطالبة مرام أحمد (16 عاما)، التي تعزف على آلة العود، إن الحرب فرضت تحديات كبيرة تمثلت في النزوح المتكرر ونقص الاحتياجات الأساسية، إلى جانب الآثار النفسية الناجمة عن مشاهد الدمار، مضيفة "نحاول أن نحول هذا الواقع الصعب إلى مساحة تمنحنا الأمل والسعادة، نحن لا نستطيع أن نوقف القصف والموت، لكننا نستطيع أن نعزف للسلام والحياة والحب".

وتشير إلى أنها تحرص على عزف الأغاني التراثية الفلسطينية للحفاظ على الموروث الموسيقي والفلكلوري، في ظل ما تعرضت له مواقع أثرية وثقافية من دمار خلال الحرب.

أما الطالبة حنان غزال (12 عاما) فتقول إنها اتجهت إلى تعلم الموسيقى بحثا عن مساحة تمنحها شعورا بالأمان وسط ظروف الحرب، معربة عن أملها في تطوير موهبتها رغم محدودية الفرص التعليمية والأنشطة في قطاع غزة.

وتتمنى الطالبة زينة سعدالدين (12 عاما) أن يعيش أطفال غزة حياة آمنة مثل أقرانهم في مختلف أنحاء العالم، قائلة "نتمنى أن نعيش في أمان، وأن نستطيع الذهاب والعودة من دون خوف".

من جهتها، تقول الأخصائية النفسية تحرير صافي إن الموسيقى تمثل إحدى الوسائل المساندة للتخفيف من الآثار النفسية للحرب على الأطفال، من خلال توفير مساحة للتعبير عن المشاعر والتعامل مع الصدمات.

وتضيف أن الأنشطة الفنية تساعد الأطفال على التعبير عن مشاعرهم والتخفيف من التوتر والقلق، كما تسهم في تعزيز شعورهم بالأمان والاستقرار النفسي، رغم الظروف التي يعيشها قطاع غزة. ويرى مختصون أن الأنشطة الثقافية والفنية، رغم محدودية الإمكانات، تمثل إحدى الوسائل المساندة للتخفيف من الآثار النفسية التي تخلفها الحرب للأطفال وتعزيز قدرتهم على التكيف مع الظروف الاستثنائية.

متاحف السعودية ترسم مستقبل الثقافة والمعرفة

الرياض - ناقشت هيئة المتاحف واقع المتاحف المتخصصة ودورها المتنامي في المشهد الثقافي، خلال لقاء افتراضي بعنوان "عدسة على المتاحف المتخصصة"، جاء ضمن سلسلة اللقاءات الشهرية التي تنظمها الهيئة بهدف تسليط الضوء على مختلف القضايا المرتبطة بالقطاع المتحفي، واستعراض التجارب والتحديات والفرص المستقبلية.

وشهد اللقاء مشاركة عدد من المختصين في المجال المتحفي، حيث تناولوا أهمية المتاحف المتخصصة باعتبارها مؤسسات ثقافية ومعرفية تركز على موضوعات محددة، وتسهم في حفظ التراث وتوثيق المعارف المرتبطة بمجالات متنوعة، كما تقدم للزوار تجارب مختلفة تتجاوز العرض التقليدي للمقتنيات نحو بناء علاقة أكثر تفاعلية مع المحتوى.

وأكد المشاركون أن هذا النوع من المتاحف أصبح يشكل عنصرا مهما في تطوير القطاع المتحفي، لما يقدمه من سرديات متخصصة تساعد على تعميق المعرفة وتعزيز الوعي بالقيم التاريخية والثقافية والعلمية. كما أشاروا إلى أن نجاح المتحف المتخصص يرتبط بقدرته على تقديم قصة واضحة ومتكاملة تستند إلى مقتنيات موثوقة ومحتوى غني وتجربة زيارة مؤثرة.

وتطرق اللقاء إلى أبرز المعايير اللازمة لإنشاء المتاحف المتخصصة، من بينها أهمية اختيار موضوع يحمل قيمة معرفية وثقافية، وتوفير مجموعة من المقتنيات التي يمكن من خلالها بناء سردية متحفية متماسكة، إضافة إلى تصميم بيئة تفاعلية تجعل الزائر شريكا في عملية التعلم والاستكشاف.

كما ناقش المشاركون دور التقنيات الحديثة في إعادة تشكيل تجربة المتحف، مؤكدين أهمية الاستفادة من أدوات مثل الذكاء الاصطناعي، والواقع الافتراضي والمعزز، والوسائط الرقمية التفاعلية، بهدف تقديم محتوى أكثر جاذبية وفتح آفاق جديدة للتواصل مع الجمهور.

ياسمين حمدان تبهر جمهور مهرجان الحمامات

تونس - أحيت الفنانة اللبنانية ياسمين حمدان حفلا فنيا ضمن سهرات الدورة الستين لمهرجان الحمامات الدولي في تونس مساء الاثنين جمع بين الإيقاعات الإلكترونية والموسيقى الشرقية والشعر والرسائل الإنسانية.

احتضن المسرح المطل على البحر المتوسط الحفل في أجواء صيفية مميزة، مستفيدا من خصوصية المكان الذي يعد من أبرز المنصات الثقافية في تونس، حيث تتداخل الطبيعة مع الفن في مشهد يميز عروض المهرجان منذ عقود.

وفي مستهل السهرة عبرت ياسمين عن سعادتها بالعودة إلى تونس ولقاء الجمهور التونسي، قائلة إنها سعيدة بالمشاركة في "مهرجان كبير وعريق" مثل مهرجان الحمامات الدولي، وسط ترحيب وتصفيق من الحاضرين.

وقدمت ياسمين مجموعة من أعمالها التي تمزج بين الحداثة والتراث الشرقي الأصيل، محافظة على الأسلوب الذي جعلها أحد أبرز الأصوات في مشهد "الموسيقى المستقلة" عربيا ودوليا.

وتناولت الأغاني التي أدتها موضوعات تتصل بالحرية والهوية وقضايا المرأة، فيما حضرت بيروت في أكثر من محطة من العرض باعتبارها جزءا من الذاكرة الفنية والشخصية للمغنية اللبنانية.

ومن بين أبرز لحظات السهرة تقديمها لأغنية "الجميلات هن الجميلات" المستوحاة من قصيدة للشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش، حيث تخلل العرض تسجيل بصوته وهو يلقي مقاطع من النص، في مزج بين الكلمة الشعرية والموسيقى لاقى تفاعلا من الحاضرين.

دبي تصنع جيلا موسيقيا جديدا

دبي - اختتمت هيئة الثقافة والفنون في دبي "دبي للثقافة"، النسخة الأولى من برنامج "التعليم الموسيقي للإماراتيين"، الذي نظمته بالتعاون مع "الأوركسترا الوطنية للشباب – دبي"، وأسهم في تأهيل 20 طالباً إماراتياً عبر 1850 ساعة تدريبية متخصصة، بهدف اكتشاف المواهب الموسيقية وصقل مهاراتها وتمكينها من بناء مسيرة فنية احترافية، بما يعزز نمو القطاع الموسيقي في الإمارة ويرسخ مكانة دبي مركزاً عالمياً للثقافة وحاضنة للإبداع.

ويندرج البرنامج تحت مظلة "منحة دبي الثقافية"، حيث شارك الطلبة على مدار عام أكاديمي كامل في ورش عمل ودروس متخصصة في العزف الأوركسترالي والأداء الجماعي والعزف الفردي على الآلات الموسيقية، بإشراف خمسة موسيقيين ومدربين عالميين متخصصين في الكمان والتشيللو وآلات النفخ الخشبية والبيانو والغناء، ما أتاح لهم تجربة تعليمية جمعت بين المعرفة النظرية والتطبيق العملي وأسهمت في تنمية مهاراتهم وتعزيز ثقتهم بأنفسهم.

وأكدت شيماء راشد السويدي المدير التنفيذي لقطاع الفنون والتصميم والآداب في "دبي للثقافة"، أن البرنامج يمثل خطوة نوعية لإعداد جيل من الموسيقيين الإماراتيين القادرين على إثراء المشهد الفني المحلي والمنافسة على الساحة الدولية، مشيرة إلى أن الهيئة تواصل توفير بيئة محفزة تتيح للمواهب فرص التعلم والانفتاح على التجارب العالمية بما يدعم الصناعات الثقافية والإبداعية.

صباح العرب

حنان مبروك
صحافية تونسية

حين أعدت اكتشاف محمد بكلمات عبدالرحمن الشرقاوي

وأنا أتمشى ذات يوم ربيعي جميل في أحد الشوارع العربية المخصصة لبيع الكتب، مستمتعة بالبحث، وقعت تحت يدي صدفة بعض الكتب ذات الطبعات النادرة، من بينها كتاب بعنوان "محمد رسول الحرية" بجزئه الأول للمصري عبدالرحمن الشرقاوي، ترددت أولا في اقتنائها، ثم اقتنيت بعضها وأتممت يومي بجولة في الأحياء القديمة المجاورة.

ركنت الكتاب جانبا، وسارعت إلى قراءة بقية الكتب، حتى جاء اليوم الموعود وقررت أن أكتشفه، فكان فاتحة معرفتي بالكتابات في التاريخ الديني للكاتب المصري الكبير عبدالرحمن الشرقاوي (1921 – 1987).

شعرت بأنني لا أقرأ كتابا في التاريخ، ولا كتابا في السيرة التقليدية، ولا بحثا منهجيا في سيرة نبي، ولا مجرد تجميع لمعلومات، بل أقرأ رواية مكتملة الأركان، شخصياتها حقيقية، وأحداثها معلومة، لكن روحها تنبض بالحياة.

يفتتح الشرقاوي حكايته من لحظة قد تبدو بعيدة عن ميلاد النبي نفسه، من قصة الجد عبدالمطلب ونذره عند حفر بئر زمزم، ومن قراره ذبح ابنه عبدالله وفاء للنذر، قبل أن تنتهي القصة بفداء ينقذ حياة والد محمد.

يبدأ الشرقاوي من هناك ليجعل القارئ يشعر بأن ميلاد محمد لم يكن حدثا منفصلا عن سياقه، بل امتدادا لسلسلة طويلة من البشر، بأحلامهم وخوفهم وضعفهم وإيمانهم.

ما أعجبني في أسلوبه أنه كتب عن النبي محمد كما كان في الأصل: إنسان ذو قيم ومبادئ، اشتهر بأمانته وصدقه ورفضه كل أوجه الانحراف في قومه، إنسان كان يرفض أصنام قومه متسائلا عن المغزى من الوجود.

في الكتاب، قبل أن ترى الإنسان الذي اصطفاه الله بالنبوة، سترى الطفل الذي ولد يتيما، والشاب الذي عمل وكدح كي يأكل بكرامة، والزوج الذي أحب وكان أمينا على تجارة زوجته، سترى الصديق الوفي، والإنسان الذي يحزن ويفرح ويواجه الخوف والخذلان والشك والفضول، ثم ترى النبي الذي حمل أثقل رسالة "أخلاقية" عرفها التاريخ.

هذا الأسلوب الذي انتهجه الشرقاوي لا ينتقص من مقام النبوة، إنما يزيده قربا وتأثيرا في قلوب من يعرفون محمد ويؤمنون به ومن لا يعرفونه بعد، فالقارئ حين يرى محمدا إنسانا، يدرك أن عظمته لم تكن في أنه خارج الطبيعة البشرية، وإنما في أنه بلغ بمراقبة نفسه وإصلاحها، درجة من الوعي تجعله أهلا لحمل الوحي.

أثناء القراءة، لم أستطع منع نفسي من التفكير في موجة الكتب والمحاضرات التي انتشرت في السنوات الأخيرة، والتي تحاول تقديم "محمد الإنسان"، بعيدا عن الخطاب الوعظي التقليدي، أو الخطاب البحثي الأكاديمي، بغية إظهار جوانبه اليومية والنفسية والاجتماعية. الشرقاوي سبق الجميع إلى هذا الطريق منذ عقود. لقد فهم مبكرا أن الناس لا يحتاجون فقط إلى معرفة ما قاله النبي، بل يحتاجون أيضا إلى أن يعرفوا كيف عاش هذا الرجل؟ كيف أحب؟ كيف تألم؟ كيف اتخذ قراراته؟ كيف كان بشرًا مثلهم؟ ثم كيف ارتقى بالوحي إلى أعلى درجات الإنسانية؟

أعترف بأن دهشتي الثانية كانت شخصية. كيف تأخرت كل هذه السنوات في قراءة عبدالرحمن الشرقاوي؟

وأنا أقلب نسخة تعود إلى عام 1994، أقرأها بتأن وإعجاب، أختار لي ولكم بعضا مما جاء فيها: "لسنا في حاجة إلى كتاب جديد عن الدين، يقرأه المسلمون وحدهم ولكننا في حاجة إلى مئات من الكتب عن التطور الذي يمثله الإسلام.. كتب يقرأها المسلمون وغير المسلمين، تصور العناصر الإيجابية في تراثنا، وتصور ما هو إنساني في حياة صاحب الرسالة، إننا بحق في حاجة إلى مئات من الكتب يقرأها الناس كافة، الذين يؤمنون بنبوة محمد والذين لا يؤمنون".